مجموعة مؤلفين

لبنان

دراسات في المجتمع والاقتصاد والثقافة



المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات
Arab Center for Research & Policy Studies

الفهرسة في أثناء النشر - إعداد المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات
لبنان: دراسات في المجتمع والاقتصاد والثقافة/ أنطوان أبو زيد ... [وثمانية آخرون]؛ إشراف وتقديم خالد زيادة.
736 ص. : إيضاحيات، خرائط؛ 24 سم.
يشتمل على إرجاعات ببليوغرافية وفهرس عام.
ISBN 978-614-445-413-8
1. لبنان - تاريخ. 2. لبنان القديم - تاريخ. 3. لبنان - الجغرافيا. 4. لبنان - السكان. 5. لبنان - أحوال سياسية. 6. لبنان - أحوال اقتصادية. 7. لبنان - أحوال ثقافية. 8. لبنان - أحوال اجتماعية. 9. لبنان - العلاقات الخارجية. 10. التعليم - لبنان - تاريخ. 11. السياحة - لبنان - تاريخ. أ. أبو زيد، أنطوان. ب. زيادة، خالد. ج. العنوان.
956.92

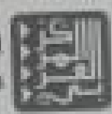
العنوان بالإنكليزية

Lebanon: Studies on Society, Economy and Culture

by Multiple Authors

الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبّر بالضرورة عن
اتجاهات يتبناها المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات

الناشر


المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات
Arab Center for Research & Policy Studies

شارع الطرفة - منطقة 70
وادي البنات - ص. ب: 10277 - الظعاين، قطر
هاتف: 00974 40356888

جادة الجنرال فؤاد شهاب شارع سليم تقلا بناية الصيفي 174
ص. ب: 4965 11 رياض الصلح بيروت 2180 1107 لبنان
هاتف: 00961 1991837 8 فاكس: 00961 1991839
البريد الإلكتروني: beirutoffice@dohainstitute.org
الموقع الإلكتروني: www.dohainstitute.org

الطبعة الأولى
بيروت، آب/ أغسطس 2021

المحتويات

الفصل الثالث

ملامح تاريخ لبنان منذ أقدم العصور

عبد الرؤوف سنّو

أولًا: لبنان في العصور القديمة[1]

1 – المدن اللبنانية في العهد الفينيقي وإنجازاتها

عُرف الساحل الشرقي للبحر المتوسط قديمًا ببلاد كنعان، نسبة إلى الكنعانيين الذين جاؤوا من الجزيرة العربية واستوطنوا الساحل السوري – اللبناني – الفلسطيني في منتصف الألف الرابع ق.م.. وفي الألف الأول ق.م.، أطلق الإغريق تسمية الفينيقيين على الشعوب الذين سكنوا الساحل السوري – اللبناني. أمّا سكان الساحل الفلسطيني، فحافظوا على تسمية «الكنعانيين». وما يجمع الكنعانيين بالفينيقيين هو كونهم شعبًا ساميًا واحدًا، من دون أنْ توحدهما رابطة سياسية. وقد توالت على فينيقيا احتلالات عدة؛ من المصريين إلى الآشوريين فالبابليين والفرس، ثم الإغريق والرومان. فكان لدى شعوبها مقدرة على «التعايش» مع المحتلين والتفاعل الثقافي معهم، وفي الوقت ذاته، تنمية مصالحها التجارية في المتوسط.

أ– ظهور المدن الفينيقية وتطورها وعلاقتها بمحيطها

تُعد مدن صور وصيدا وبيروت وجبيل وطرابلس وبعلبك من أهم المدن الفينيقية ضمن الجغرافيا اللبنانية الراهنة. وتُعتبر جبيل وبيروت المدينتين الفينيقيتين الأقدمين على الساحل الفينيقي؛ فكانت جبيل، قرونًا عدة، أهم منطقة اتصال تربط بين مصر والشرق الأدنى وعالم بحر إيجه. وكان فراعنة مصر قادرين على الوصول، عبر مرفئها، إلى منتجات لبنان وسوريا، فيما

(1) للتواريخ قبل الميلاد: ق.م.؛ عدا ذلك، فهي لبعد الميلاد.

تمكنت جبيل من التبضع من مصر والتعرف إلى عاداتها ومعارفها[2]. وفي الوقت ذاته، طورت المدينة علاقاتها التجارية البرية بسوريا ومملكة ماري الواقعة على نهر الفرات[3]. وقد أطلق الإغريق عليها اسم «بيبلوس»، واشتهرت بهياكلها ومقابر ملوكها وميناًئها وسوقها العامرة، وبتنظيمَيها المُدني والديني. كما شكلت قاعدة قوية للتوغلات العسكرية المصرية في المناطق المحيطة بها، في بعض المراحل على الأقل[4].

أمّا بيروت التي أسسها الجبيليون، فجعلها موقعها على ساحل البحر المتوسط ممرًا للجيوش الغازية من الجنوب إلى الشمال أو بالعكس. عرف أهلها الزراعة وتربية الحيوان والصناعات الخزفية والزجاجية والمعدنية التقليدية المختلفة[5]. واشتهرت بسورها وبتعاقب الحضارات عليها، كما بمركزها التجاري وبأسطولها الحربي.

وفي جنوب لبنان، كانت مدينتا صيدا وصور تسيطران على التجارة البحرية، وعلى الطرق البرية مع سوريا وبلاد ما بين النهرين. تأسست صيدا في حوالى عام 2800ق.م.، ونمت واشتهرت بصناعاتها الحرفية التقليدية، وتفوقت خلال القرنين الثاني عشر والحادي عشر ق.م. على جميع المدن الفينيقية الأخرى، بما فيها صور. وفي عام 351ق.م.، ثارت صيدا على الفرس،

---

(2) عالجت الباحثة نينا جيدجيان (Nina Jidejian) بتفصيلٍ دورَ جبيل عبر التاريخ في مؤلَّفها: *Byblos Through the Ages*, Beirut، وقدّم له عالِم الآثار الفرنسي موريس دونان (M. Dunand)، الذي عمل في لبنان في الفترة 1924-1975. يُنظر: Nina Jidejian, *Byblos Through the Ages*, Maurice Dunand (foreword) (Beirut: Dar el-Machreq Publishers, 1968).

(3) ظهرت مملكة ماري مدينةَ ميناء على نهر الفرات في سوريا بين عامَي 2900 و1760ق.م.، واتسمت بحضارة متألقة وبتجارة مزدهرة. يُنظر: بشار خليف، **مملكة ماري وفق أحدث الكشوفات الأثرية** ([د. م.]: دار الرائي للنشر والتوزيع، 2005).

(4) يُراجع في هذا الخصوص الكتاب الصادر حديثًا: Marwan Kilani, *Byblos in the Late Bronze Age: Interactions between the Levantine and Egyptian Worlds*, Studies in the Archaeology and History of the Levant 9 (Leiden; Boston: Brill, 2020).

(5) عصام محمد شبارو، **المطول في تاريخ بيروت، 2000ق.م.-2005م.، ج 1: بيروت الكنعانية-الفينيقية، 2000ق.م.-635م.** (بيروت: دار النهضة العربية، 2018)، ص 61.

ما جعل أهلها يفضلون إضرام النار في مدينتهم والموت على الاستسلام[6]. وفي عهد الإسكندر الكبير المقدوني[7] (356-323ق.م.)، استعادت صيدا جزءًا من مكانتها السابقة.

ورد ذكر صور أول مرة في نصوص مصرية، مملكةً مستقلة منذ بداية الألفية الثانية وزعيمةَ المدن الفينيقية في القرن العاشر ق.م.، حتى أن البحر المتوسط عُرف باسمها: «بحر صور». ففرضت سيطرتها على التجارة البحرية، وأنشأت المستوطنات التجارية في حوض البحر المتوسط، وازدادت غنًى في عهد ملكها حيرام الأول (969-936ق.م.)، وتخطت صيدا في العز والسلطة[8].

أمّا بعلبك، فقد أسسها الفينيقيون على هضبة في البقاع في أوائل عام 2000ق.م.، بعيدًا عن أخواتها البحرية، وجعلوها مدينتهم المقدسة، منذ أن بنوا فيها أول هيكل لعبادة إله الشمس «بعل» الذي اتسعت شهرته[9]. واستفادت بعلبك من موقعها الجغرافي بالنسبة إلى التجارة بين البحر المتوسط وشمال سوريا وبلاد ما بين النهرين ومصر. وفي المقابل، ظهرت طرابلس متأخرة عن غيرها من المدن الفينيقية؛ إذ يعود تاريخها إلى القرن الرابع عشر ق.م. واشتهرت باختيارها لتكون مقر «مجلس اتحاد فينيقي» للتشاور في الأمور المشتركة، خصوصًا بين عامَي 352 و351ق.م.، بهدف التخلص من الهيمنة الفارسية، بتحريض من مصر الفرعونية. وقد انطلقت شرارة الثورة من الحي

---

(6) Josef Wiesenhöfer, «Fourth Century Revolts against Persia: The Test Case of Sidon (348-345 bce),» in: Timothy Howe & Lee L. Brice (eds.), *Brill's Companion to Insurgency and Terrorism in the Ancient Mediterranean*, Brill's Companions in Classical Studies: Warfare in the Ancient Mediterranean World 1 (Leiden; Boston: Brill, 2016), pp. 93-112.

(7) نسبة إلى مقدونيا في الزاوية الشمالية الشرقية لشبه الجزيرة اليونانية.

(8) إيلان صادر، «صور في العصرين البرونزي والحديدي: تاريخ وآثار المدينة من الألف الثالث إلى أواخر الألف الأول ق.م.»، في: **وثائق المؤتمر الأول لتاريخ مدينة صور: من العهد الفينيقي حتى القرن العشرين، 15-16 حزيران** 1996 (صور، لبنان: منتدى صور الثقافي، 1996)، ص 37-40.

(9) ميخائيل موسى ألوف، **تاريخ بعلبك**، طبعة عربية ثانية (بيروت: المطبعة الأدبية، 1904)، ص 33-34.

الصيدوني في طرابلس، ثم تبعتها سائر المدن الفينيقية، لكن الفرس قضوا على الثورات[10]. وعلى صعيد التجارة، جعل الفينيقيون طرابلس محطة تجارية عند أطراف «شبه الجزيرة» التي تغطيها اليوم مدينة الميناء؛ فجذب موقعها وتسهيلاتها المرفئية التجارة البحرية، كما التجارة مع شمال سوريا وداخلها[11]. وإلى الشمال من طرابلس، خارج حدود لبنان الحالية، تقع المدينة – الدولة أرواد التي هي اليوم ضمن سورية، ولا تدخل تاليًا ضمن بحثنا.

ب– الفينيقيون: إنجازاتهم الجيوسياسية والحضارية

كما سبق الذكر، اختط الفينيقيون سياسة بحرية للخروج من جغرافيتهم الضعيفة بالمواد الأولية وضيق المساحة الزراعية؛ فكان البحر المتوسط بوابتهم إلى العالم. وأتت استراتيجيتهم البحرية هذه نتيجة مسألتين: العوائق الطبيعية المتمثلة في جبال لبنان، ووجود إمبراطوريات كبيرة في محيطهم، تتقاتل للسيطرة على البر[12]، فبدأوا بمبادرات متواضعة، لكن سرعان ما تحولوا إلى قوة بحرية.

وبناءً على الجغرافيا السياسية، ابتدعت ثلاث مدن فينيقية، هي أرواد وصيدا وصور، نظامًا فريدًا يقوم على تقسيم المدينة إلى جزءين: **الأول** على البر، وهو للسكن والتجارة والزراعة، **والآخر** على جزيرة صغيرة محصنة مقابل القسم البري، يكون ملجأً لسكانها في أيام الحروب. وفي جميع الأحوال، اعتمد الفينيقيون، في الغالب، سياسة الخضوع والاستسلام، عندما كان الأمر يتعلق بالغزو الخارجي. فكانوا «يقايضون» السلم

(10) سميح وجيه الزين، **تاريخ طرابلس قديمًا وحديثًا منذ أقدم الأزمنة حتى عصرنا الحاضر** (بيروت: دار الأندلس، 1969)، ص 36–38.

(11) عبد الرؤوف سنو، **المدن الأقطاب في لبنان: بيروت – طرابلس – زحلة – صيدا** (طرابلس، لبنان: منشورات مؤسسة شاعر الفيحاء سابا زريق الثقافية؛ دار البلاد للطباعة والإعلام في الشمال، 2018)، ص 162، 165.

(12) أنطوان القسيس، «تاريخ لبنان القديم بين الجغرافيا والتاريخ»، في: **تاريخ لبنان عبر العصور: مسائل واكتشافات**، سلسلة محاضرات 2013، سلسلة «الذاكرة اللبنانية» 18 (بيروت: الجامعة الأميركية للعلوم والتكنولوجيا، 2013)، ص 43–49.

والاستقرار بدفع الجزية للمحتلين، فيعوضون ما يخسرونه من مال بالسلع التي يتاجرون بها[13].

بدأت انطلاقة الفينيقيين البحرية، أولًا، نحو مصر الفرعونية، ثم تطورت، من خلال صور وصيدا، لتشمل جزر البحر المتوسط. فتوسعوا من قبرص إلى الجزر الإيطالية وبحر إيجه، وإلى شمال أفريقيا، حتى أنهم وصلوا إلى أعالي المحيط الأطلسي. صحيح أنَهم ركبوا البحر، إلا أنَهم لم يقطعوا علاقاتهم التجارية مع بلاد الشام والرافدين[14].

مر توسع الفينيقيين بمرحلتين: قامت المرحلة **الأولى** على إنشاء المراكز التجارية، بين القرنين الثاني عشر والثامن ق.م.، وقامت المرحلة الأخرى على تأسيس المستعمرات بعد القرن الثامن ق.م.، ودامت أكثر من 500 عام، حيث تمكنوا من إقامة شبكة من النقاط التجارية الثابتة، كانت جميعها على اتصال في ما بينها، وبالمدينة الأم، ولا سيما صور، ما جعلهم أعظم الأمم التجارية في العالم القديم. وفي تمددهم إلى غرب المتوسط، اصطدم الفينيقيون بالإغريق، لكنهم وضعوا حدًا لهم، خلال القرن السادس ق.م. وكانت ثمرة توسع صور في غرب المتوسط، تأسيس مستعمرة قرطاج في عام 814ق.م.؛ فجعلتها مركزًا تجاريًا وحضاريًا دائمًا. ثم استقلت قرطاج على صور في عام 650ق.م. وما لبثت مدن فينيقيا أن خضعت للإسكندر الكبير، في عام 333ق.م. الذي دحر فارس، وحكم خلفاؤه المنطقة حتى وقوعها تحت سيطرة الرومان، منذ عام 64ق.م.

في ما يتعلق بتجارة الفينيقيين، يشار إلى أنهم تاجروا بخشب الأرز وزيت الزيتون والنبيذ والمر واللبان والأفاوية، وبالرقيق والنسيج المطرز والسجاد[15]

---

(13) سنو، **المدن الأقطاب**، ص 19.

(14) أشرف رفيق، «مفترق طرق التجارة القديمة يتحول إلى وجهة سياحية مهمة: بعلبك أقدم المدن اللبنانية... زيارة إلى مدينة التاريخ والآثار»، **البناء**، 28/ 3/ 2008، في: https://bit.ly/3vDaxVZ

(15) يُعالج مارك كارترايت بالتفصيل أنواع التجارة الفينيقية في العالم المتوسطي، بعدما يحدد هذا العالم جغرافيًا. ويذكر أن الفينيقيين كانوا يحددون الكميات المنوي بيعها وأسعارها قبل توقيع العقود مع الغير. يُنظر: Mark Cartwright, «Trade in the Phoenician World,» *World History Encyclopedia*, 1/4/2016, at: https://bit.ly/2QfAM4t

والكتان المحبوك والأقمشة الحريرية المصبوغة بالأُرجوان والمنقوشة بالألوان. كما أنهم صدّروا منتجاتهم النحاسية والبرونزية، واشتهروا بالنقش على الخزف والزجاج الشفاف والمنفوخ، وبالنحت على العاج، وصنعوا الحلي المطعمة بالعاج والذهب والفضة والحجارة الكريمة، وأخيرًا وليس آخرًا، رسموا على النسيج والأباريق والزهريات والمعادن. وجلبوا المعادن والذهب والفضة والنحاس والقصدير من إسبانيا، والأسماك المجففة، وورق البردي من مصر لمراسلاتهم وحفظ سجلاتهم[16].

من الناحية الدينية، تميزت المدن الفينيقية بعبادة مجموعة من الآلهة المشتركة، في حين كان لكل واحدة منها إله يُعد شفيعها[17]. وعرفت تلك المدن المدارس الدينية، لكن جبيل كانت الزعيمة الدينية لفينيقيا، فكانت الإلهة سيدة جبيل حامية المدينة وملِكها والضامنة للسلطة. وقد انتشرت المعابد والهياكل في وسطها، وتحولت إلى مركز علمي ومعرفي، ما جعل طبقة الكهنة من أكثر الطبقات معرفة وسلطة[18].

وإلى التجارة الفينيقية يعود الفضل في تصدير الحرف والمعارف والفكر الديني كإنجازات حضارية. وقد تفوقت الأبجدية الفينيقية على الهيروغليفية المصرية، منذ حوالى عام 1050ق.م.، وكانت في متناول العالم المتوسطي كله، حتى أن الإغريق قاموا بتطويرها. من هنا، كان للفينيقيين دور مهم في الأدب والفكر اليونانيين، فنقل الإغريق عن فينيقيي صور وصيدا الفن الهندسي المُدني، وانتشرت علومهما وفنونهما في الشرقين الأدنى والأقصى وأفريقيا وأوروبا، في حين ساهم مهندسو صور في بناء هيكل سليمان في القدس من خشب الأرز[19].

---

(16) يوهانس ستراوخ، بيريت: **أقدم كتاب مطبوع عن حاضرة بيروت 1662**، مع مقدمة من هنري زغيب (بيروت: مركز التراث اللبناني، 2019)، ص 24.

(17) أنطوان القسيس، **ملامح من الفكر الديني الكنعاني الفينيقي**، فينيقيات 1، سلسلة «الذاكرة اللبنانية» 17 (بيروت: الجامعة الأميركية للعلوم والتكنولوجيا، 2013).

(18) المرجع نفسه، ص 157-158.

(19) ألوف، ص 15-16؛ Mario Bou Debes, «Without the Lebanese, Israel Would Have Never Dreamt of Having Solomon's Temple,» *Mind Revolt*, 12/12/2018, at: https://bit.ly/2P26jGy

تدل الآثار التي عُثر عليها في فينيقيا على عظمتها وإنجازاتها، لكن معظمها تعرض للتدمير، بفعل الزلازل وتعاقب الاحتلالات التي مرت بالبلاد، وكذلك بفعل ضخامة الآثار الرومانية التي أتلفت كثيرًا من المتروكات اليونانية والفينيقية تحتها. ومن أهم المتروكات الأثرية للعهد الفينيقي، قبر وناووس ملك جبيل أحيرام. كما وُجد في مقابر ملوك جبيل كثير من القطع المذهبة والمجوهرات المصرية المصنعة يدويًا. أمّا النقود التي عُثر عليها فيها، فتحمل على وجهها الأول رمزًا فينيقيًا، وعلى الوجه الآخر رمزًا يونانيًا[20].

في بيروت، عُثر على آثار فينيقية تروي تاريخها؛ من العهد الفينيقي حتى الوقت الراهن، وتُظهر تطور المدينة العمراني وامتداد سورها وتحصيناتها[21]. وتوجد نقوش منحوتة في الصخر على ضفاف نهر الكلب، تشمل 23 نصبًا تذكاريًا لملوك الإمبراطوريات والدول التي حكمت الساحل الشرقي للمتوسط، حتى العصر الحديث[22].

وفي صيدا، كشفت الحفريات عن وجود آثار فينيقية، من نواويس وتماثيل، منها لملِكِها تبنيت وابنه الملك أشمون عزر الثاني، ورسم سفينة فينيقية مشرعة السواري على أحد النواويس[23]. وقام الفرنسيون بنقل ناووس أشمون إلى متحف اللوفر، فيما كشفت الحفريات البريطانية عن الغموض الذي كان يكتنف طقوس العبادة الفينيقية[24]. وعلى مقربة من صور، عُثر على ما قيل إنه قبر

---

(20) حول متروكات جبيل، خصوصًا الكتابات على ضريح ملكها أحيرام، يُراجع: Reinhard G. Lehmann, *Die Inschrift(en) des Aḥīrōm-Sarkophags und die Schachtinschrift des Grabes V in Jbeil (Byblos)*, Dynastensarkophage mit szenischen Reliefs aus Byblos und Zypern 1.2, Forschungen zur phönizisch-punischen und zyprischen Plastik 2 (Mainz am Rhein: von Zabern, 2005).

(21) شبارو، ص 100–105. وعلى هذا الموقع سوف يشيد متحف وطني. يُنظر: سنو، **المدن الأقطاب**، ص 68.

(22) ألكسندر أبي يونس، «صخور نهر الكلب متحفًا»، مجلة **الجيش** (اللبناني)، العدد 356 (شباط/ فبراير 2015).

(23) سنو، **المدن الأقطاب**، ص 323.

(24) المرجع نفسه، ص 325–326.

مَلِكها حيرام وعرش الإلهة عشتروت، كما على مدافن عليها نقوش فينيقية، كما بقايا أساس السور الذي أحاط بجزيرة صور[25].

ثانيًا: لبنان في العهود اليونانية والرومانية والبيزنطية

1 - لبنان في عالم اليونان المتوسطي

أ- الاحتلال اليوناني للمدن الفينيقية

تعاقبت على الساحل الشرقي لحوض البحر المتوسط شعوب وحضارات، حتى ظهور المسيحية. وأدى التلاقح الفكري والحضاري في لبنان إلى تفاعلات ومؤثرات ثقافية في المعتقدات الدينية، كما في التبادل التجاري والمعارف.

وخضعت فينيقيا لحُكم المصريين، حتى عام 1200ق.م. وتمتعت بعد المرحلة الفرعونية بفترة ازدهار امتدت قرونًا ثلاثة (1200-900ق.م.)، إلى أن سيطر عليها الآشوريون والبابليون والفرس على التوالي بين عامَي 900 و333ق.م.، أي حتى احتلال الإسكندر سوريا في التاريخ الأخير، فترتبت على حملة الإسكندر ثلاث نتائج استراتيجية: فتح الطريق نحو مصر، وشرقًا نحو بلاد ما بين النهرين، أو الاستيلاء على فينيقيا، لكنه فضّل إخضاع الأخيرة لتأمين إمداداته عبر البحر[26].

قام الإغريق عقب احتلالهم فينيقيا باستبدال أسماء مدنها بأخرى ذات صبغة يونانية، فأطلقوا على صور اسم توروس (Turos)، وعلى صيداء اسم صيدون (Sidon)، وعلى بيروت اسم بيريتوس (Berytos)، وعلى جبيل اسم بيبلوس (Byblos)، وعلى طرابلس اسم تريبوليس (Tripolis)، أي المدينة المثلثة، نسبة إلى أحيائها الثلاثة، وعلى لبنان اسم ليبانوس (Libanos)[27].

---

(25) «الآثار القديمة في لبنان - منشورات الجامعة اللبنانية»، في: https://bit.ly/38TscPx

(26) القسيس، «تاريخ لبنان القديم»، ص 48.

(27) «الآثار القديمة في لبنان - منشورات الجامعة اللبنانية، 6- الآثار اليونانية في لبنان»، في: https://bit.ly/3s2KkOf

وعن الأسماء الفينيقية لتلك المدن، فكانت: «صر» لصور، و«صيدون» لصيدا، و«بيريت» لبيروت، و«جب إيل» لجبيل، و«تراب إيل» لطرابلس.

اعتبر الإغريق بيروت مدينة - مرفأ، لكن التدمير لحقها في عام 140ق.م. بسبب الصراعات بين خلفاء الإسكندر. ثم أُعيد بناؤها على الطراز الهليني، وسُمّيت «لاوديسيا اليونانية» أو «لاوديسيا الكنعانية». وقد ثمّن اليونانيون في العصر الهلينستي خصوصيتها، فضربوا نقودًا باسمها، مع رموز فينيقية. وجرى الاهتمام بتطوير تجارتها وزراعتها والاعتناء بمينائها وساحاتها وشوارعها وحماماتها.

وفي عهد الإسكندر (333-323ق.م.) تمكنت صيدون من استعادة جزءٍ من ريادتها التي فقدتها عقب ثورتها على الفرس، بعدما اعتبرت الإسكندر محررها من النير الفارسي؛ فشاركت مع جبيل وأرواد في الحصار الذي ضربه الإسكندر على صور، حتى إسقاطها. وفي العهد اليوناني، اختارت صيدون ملوكها بنفسها. أمّا صور، فأقامت علاقات جيدة مع ملوك فارس، ورفضت الخضوع للإسكندر، وانسحب أهلها إلى مدينتهم البحرية الحصينة، ومن هناك قاوموا غزوه، إلى أن تمكن الإسكندر من إخضاع أهلها وإعمال المجازر فيهم[28].

بالنسبة إلى طرابلس، فقد جعلها اليونانيون قاعدة بحرية، وأنشأوا فيها الساحات والعمائر. وفي عهود خلفاء الإسكندر، تضاءلت أهميتها، وأصبحت مجرد قاعدة لبناء السفن ومحطة لتحريك الجيوش، فيما كانت بعلبك، عند الفتح اليوناني، ذات شهرة كافية لجذب انتباه الفاتحين، وأصبحت بعد وفاته في عام 323ق.م. جزءًا من إمبراطورية بطليموس المصرية، فتغير اسمها إلى هيليوبوليس، وجُعلت مركزًا دينيًا موحدًا. وفي حوالى عام 200ق.م.، استولى عليها السلوقيون.

ب- التفاعل الحضاري بين فينيقيا واليونان - الآثار اليونانية في لبنان

أدى احتلال الإغريق العالم القديم إلى تأقلم الحضارة اليونانية الهلينية (Hellenism)، التي سادت حتى وفاة الإسكندر الكبير، مع حضارات المناطق

---

(28) زياد جلبوط، «حصار الإسكندر الأكبر لمدينة صور واحتلالها في العام 332ق.م.»، مجلة **الدفاع الوطني اللبناني**، العدد 105 (تموز/يوليو 2018).

المحتلة وثقافاتها، وإلى انبثاق حالة حضارية جديدة، نتيجة التفاعل بين الحضارتين الإغريقية والسامية، لتتمخض عنها حضارة جديدة تُعرف بـ «الهلينستية» (Hellenistic)[29] التي تعني الحضارة الإغريقية التي تفاعلت مع الحضارات الشرقية؛ فاكتسبت المدن الفينيقية، بذلك، هوية مشتركة، هي مزيج من هويتها الشرقية السابقة ومن الهوية الهلينستية الجديدة الغنية بالإنجازات الحضارية[30]، كالثقافة والاحتفالات بالأعياد وبناء المسارح والملاعب الرياضية والحمامات العامة، بينما تحولت اليونانية إلى لغة الحكام الفينيقيين والطبقتين العليا، ولغة الثقافة والآداب. أمّا شعب فينيقيا، فحافظ على لغته الآرامية، في حين ظلت الكنعانية (الفينيقية) لغة الوثائق والمعاملات حتى القرن الأول ق.م.. وقد ظهر في صيدون وصور عدد من الفلاسفة المتأثرين بالمدارس الإغريقية. وكانت نقود فينيقيا تُسك وعليها رسوم تمثل أساطير يونانية، إلى جانب عملتها الوطنية[31].

بتأثير من الهلينستية، مزج الفينيقيون بين آلهتهم وآلهة الإغريق، واعتبروا أن الأخيرة لا تختلف عن آلهتهم من ناحية الجوهر. وكان هناك تكريم مشترك للمعبد الواحد من الفينيقيين واليونانيين، ومن الرومان بعد ذلك. أمّا المعابد الجديدة التي بناها اليونانيون، فكانت يونانية محضًا، فعبدوا فيها آلهتهم[32].

ومن آثار الإغريق في لبنان رموز المدافن والنواويس والأنصبة فوق القبور، وصورة النسر كإشارة إلى النفس الخالدة. وفي بيروت عُثر على تمثال

---

(29) Frank W. Walbank, *The Hellenistic World* (Cambridge, MA: Harvard University Press, 1993).

(30) Antoine Simonin, «Hellenistic Periode,» *World History Encyclopedia*, 28/4/2011, at: https://bit.ly/2NzNjim

(31) «شخصيات سورية مشهورة. زينون الرواقي (358-260ق.م.)»، نقله الأدمن خالد بتصرف عن كتاب **سوريون في التاريخ** للكاتب: سهيل رستم، 13 تموز/ يوليو 2013. هناك علماء وفلاسفة آخرون ذكرهم الباحث يوسف حوراني، يُنظر: يوسف حوراني، «إعلام عالميون من صور في العهد الروماني»، في: **وثائق المؤتمر الأول لتاريخ مدينة صور**، ص 47-60.

(32) «الآثار القديمة في لبنان - منشورات الجامعة اللبنانية، 6- الآثار اليونانية في لبنان».

من الرخام للإلهة فينوس، وعلى تماثيل رخامية في صيدا تُبيّن تأثر الفن الفينيقي بالحضارة اليونانية. وأشهر النواويس اليونانية في صيدا ما يُعتقد أنه للإسكندر الكبير. وجرى نقله إلى متحف اسطنبول بأمر من السلطان عبدالحميد الثاني[33]. أمّا في صور، فجرى اكتشاف تمثالين من الفخار لإله الحب إيروس (Eros) ولرسول الإلهة هيرمِس.

2 – لبنان في عصر الإمبراطورية الرومانية

منذ أن خضعت فينيقيا لروما في عام 64ق.م.، أصبحت المنطقة جزءًا من دولة عالمية (Universal State)، بجغرافيتها ونظمها وقوانينها وإدارتها وفكرها وثقافتها وعلومها وعمرانها وفنونها وجيشها الجرار. لكن روما شهدت اضطرابات داخلية وحروبًا أهلية منذ أواخر القرن الثاني ق.م.، ثم إطلاق حرية المعتقد الديني (مرسوم ميلان لعام 313)[34]، إلى أن تمكنت القبائل الجرمانية من السيطرة على مقاطعاتها في عام 476.

وبنتيجة تلك الاضطرابات، قُسمت الإمبراطورية في عام 395 إلى جزءين: جزء شرقي مثّلته بيزنطة، وتميز بأرثوذكسيته وعاصمته القسطنطينية، وبشعوبه المتعددة الأعراق؛ وجزء غربي لاتيني بشعوبه الرومانية والجرمانية الأصل، وكانت عاصمته روما أولًا ثم رافينا منذ عام 402. وترتب على قيام إمبراطورية بيزنطية مسيحية تحوُّل الشرق إلى ميدان صراع بينها وبين الدولة الفارسية الوثنية. وإلى جانب المجتمعَين البيزنطي والأوروبي الغربي، ظهر المجتمع الإسلامي في القرن السابع الميلادي ينشر حضارته عبر الفتوحات[35].

---

(33) محمد القبرصلي، «تاريخ الحفريات في مدينة صيدا: إشكالية التطور المديني وتداعياته (3000ق.م. – حتى القرن الخامس)»، أطروحة دكتوراه، الجامعة اللبنانية، المعهد العالي للدكتوراه في الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، 2016–2017.

(34) محمود سعيد عمران، **معالم تاريخ أوروبا في العصور الوسطى** (بيروت: دار المعرفة الجامعية، 1982)، ص 41–46.

(35) المرجع نفسه، ص 13.

أ- ازدهار المدن الفينيقية تحت مظلة «السلام الروماني» - مدرسة الحقوق في بيروت

في آخر تقسيم لبلاد الشام، جعل الرومان سوريا البحرية تابعة للحُكم الروماني، وعُرفت الأخيرة باسم ماريتيما (Maritima) عاصمتها صور، وتتبعها مدن رئيسة هي: عكا وصيدا وبيروت وجبيل والبترون وطرابلس وعرقة وأرواد. أمّا طرابلس، فظلت خلال العهد الروماني مقسمة إلى ثلاث مناطق، لكل منطقة منها إدارتها الخاصة. وبقي هذا التقسيم قائمًا حتى الفتح العربي لبلاد الشام[36].

وتحت مظلة «السلام الروماني» (Pax Romana)، ازدهرت النشاطات الفكرية والاقتصادية في مدن فينيقيا، مسجِّلة نجاحات عظيمة في عوالم التجارة والصناعة والزراعة، وذلك بفضل اتساع الأسواق التجارية، وارتباط أقاليم الإمبراطورية المختلفة بشبكة ممتازة من طرق المواصلات البرية والبحرية. واستمرت موانئ فينيقيا تؤدي أدوارًا وسيطة للتجارة الشرقية بين سوريا وفارس والهند من جهة، وأوروبا من جهة أخرى، وقامت بتصدير صناعاتها إلى روما.

وفي جبيل، كما في باقي المدن الفينيقية، فرض الرومان حُكمًا شوريًا، فأصبحت مجالس مدنها تشارك الحكام في الإدارة. ونالت جبيل امتيازات مهمة، بعد أن كرمت انتصار أوكتافيان (Octavian)، الذي أصبح في ما بعد أغسطس قيصر (حكم من 27 إلى 14ق.م.) على خصميه مارك أنطونيوس وملكة مصر كليوباترا (السابعة) في معركة أكتيوم الشهيرة في البحر الأيوني في عام 31ق.م.، وبالتالي إدخال المنطقة في حالتَي سلام واستقرار[37]. وقام الرومان بشق الطرقات في جبيل، وزينوا شوارعها وأحاطوها بالأعمدة، وجروا إليها المياه، وشقوا الطريق الساحلية التي تصل المدن بعضها ببعض، كما طريق جبيل - بعلبك - اليمونة. ومع سيادة اللغة الإغريقية في جبيل،

(36) طوني مفرَج، **موسوعة قرى ومدن لبنان،** ج 8 ([د. م.]: دار نوبليس، [د. ت.])، ص 46-47، في: https://bit.ly/2P1gR8R

(37) Joshua J. Mark, «Battle of Actium,» *World History Encyclopedia*, 18/11/2019, at: https://bit.ly/3vFhlm4

تهيأت المدينة أكثر للتجارة مع أوروبا، فازدهرت صادراتها من الكتان وصناعاتها الخشبية[38].

من ناحية أخرى، عرف الرومان قيمة بيروت وأهميتها، فأطلقوا عليها اسم بيريتوس، وجعلوها مستعمرة مميزة منذ عام 15ق.م. وقاعدة لأسطولهم. كما أنهم ضربوا النقود تيمّنًا بجوليا ابنة أغسطس قيصر، فكان العصر الروماني من أزهى عصور المدينة التي احتوت على أهم ميدان لسباق عربات الخيل في المنطقة، وأفخم الأبنية والساحات المزينة بالتماثيل والصور، وعلى الأسواق والمخازن والحمامات والأندية، واشتهرت بمسرحها نصف الدائري، وبمجلس بلديتها، كما بميادين المصارعة (كولوسيوم). فضلًا عن ذلك، جر الرومان إليها المياه من المناطق الجبلية حولها، وبنوا الجسور ورصفوا الطرقات وأروقة التنزه الرحبة المظلَّلة. فتعزز اقتصادها، خصوصًا تجارة الحرير والمنسوجات الحريرية والمحاصيل الزراعية والمصنوعات المعدنية. وكان الحرير الأُرجواني المصنَّع في لبنان، ولا سيما في بيروت، من أغلى أنواع الحرير وأجودها. وإلى الرومان يعود فضل امتداد الغابة الصنوبرية في ضاحيتها الجنوبية[39].

على الصعيد العلمي، اشتهرت بيروت بـمدرسة الحقوق التي شُيدت في أواخر القرن الثاني، واستمرت في التدريس أكثر من 300 عام، وفيها تخرجت البيروقراطية العليا في الحكومة. ويعود إليها، كذلك، فضل إنجاز قانون جستنيان (Codex Justinianus) الذي شكّل مرجعًا قانونيًا في خلال العصر البيزنطي، ولأغلب الشرائع الأوروبية في ما بعد[40]، ما جعل الإمبراطور جستنيان (527-565) يُطلق على بيروت تسمية «أم الشرائع ومرضعتها». لكن هذا الصرح العلمي الكبير دُمر بفعل الزلزال الذي ضرب بيروت والمدن الفينيقية الأخرى في عام 551[41].

---

(38) مفرَج، ص 48.

(39) شبارو، ص 164-170.

(40) «The Code of Justinian: The Basis for Civil Law in Western Europe,» *History of Information.com*, at: https://bit.ly/2NuHfHM

(41) ستراوخ، ص 11-12، 72.

وعلى غرار بيروت، منح الرومان أهل صيدون حقوق المواطَنة، فكانت أشبه بجمهورية صغيرة في أوائل العهود الرومانية، بحُكامها وقضاتها ومجلس شيوخها. وأولى الرومان اهتمامهم بتطويرها المُدني، فتوسعت رقعتها بتشييد أبنية دينية ومدنية، وانعكس ذلك ازدهارًا في تجارتها، فكانت تمد الأسواق بمصنوعاتها التقليدية. وعرفت المدينة في هذه الحقبة المراكز العلمية ومدرسة للنحت. لكنها تعرضت لزلزال عام 573 الذي هدم مبانيها، وشل نشاطها التجاري.

أمّا صور، فاستفادت من ولائها لروما، وقد منحتها الإمبراطورية الرومانية لقب «حاضرة فينيقيا» و«أم المدن»، وجعلتها مستعمرة تخضع للقانون الروماني، واعتبرت أهلها رعايا رومانيين وأعفتهم من بعض الضرائب، وسمحت لها بسك العملة[42]. ومن صور دخلت المسيحية إلى لبنان، خلال عهد الإمبراطور قسطنطين، وقامت فيها جالية و**كنيسة** تُعد الأولى في **تاريخ المسيحية**، وقد ازداد عدد أفراد الجالية التي تمكنت من عقد مجمع كنسي في عام 335، في محاولة لإقامة مركز ديني بديل لأنطاكيا يمثل المقاطعة السورية.

هذا وتمتعت طرابلس بمنزلة رفيعة خلال القرون الثلاثة من العهد الروماني بعد الميلاد، وحصلت على لقب «متروبول فينيقيا». وقام الرومان بتشييد الأبنية العامة الفخمة والمعابد فيها وفي جوارها، ومنها معبد «عشتروت»، ومعبد «البعل القدوس»، وأقاموا قاعدة بحرية في مينائها، وميدانًا رياضيًا، ومصانع للسفن، وجلبوا لهذه الغاية الأخشاب من جبل لبنان.

وفي ما يخص بعلبك، يشار إلى أنها تزخر بمعالمها الأثرية الرومانية. وهي أدت دورًا في الحركة التجارية بين روما والشرق الأدنى، وتحولت إلى مستعمرة رومانية في عام 47ق.م. ونظرًا إلى أهميتها الاقتصادية والدينية، جعلها أغسطس قيصر واجهة دعائية تُبرز صورة روما وعظمتها.

---

(42) المرجع نفسه، ص 53-54.

وجرى تشييد المعابد العملاقة فيها التي يمكن اعتبارها من عجائب العالم القديم[43].

ب- العبادات والآثار

أدرج الرومان الإله الفينيقي بعل مرقد في مصاف آلهتهم، ووضعوه في منزلة ملك الآلهة جوبيتر، وأقاموا له بناءً مهيبًا قرب بيت مري، حتى أنهم كرموا عشتروت، إلهة الخصب والحب عند الفينيقيين. وعلى خطٍ موازٍ، توسعت عبادة أدونيس التي انتشرت بين عامة الناس في الإمبراطورية.

بالنسبة إلى الآثار، كشفت الحفريات في جبيل عمّا بقي من مسرحها الروماني داخل سور قلعتها الذي يعود إلى عام 218، وقد عُززت المدينة بالمعابد والقصور والحمامات والفسيفساء[44]. وبينت حفريات حديثة في بيروت أن سوق الطويلة هو تطور لشارع يوناني أو روماني قديم. وفي وسط بيروت، بين مبنى التياترو الكبير ومبنى الإسكوا، عُثر على قسم من سور بيروت الروماني. وفي القنطاري، عُثر على مقبرة، كما عُثر على حمامات رومانية بين شارع المصارف ومبنى السراي الحكومي. وهناك أعمدة رومانية في مقابل مبنى العازارية في الوسط التجاري. كما عُثر على زهريات فخارية وزجاجيات رومانية في مقبرة في رأس بيروت. وآخر المكتشفات، حمامات رومانية في منطقة الصيفي[45].

في ما يتعلق بآثار صيدا وصور، عُثر في المدينة الأولى على حمامات وعلى بقايا شارع روماني مرصوف بالبلاط، وأعمدة مع تيجانها، وقد أنجز الرومان قناة الخاسكية التي كانت تجر المياه إلى بساتين الوسطاني على مقربة من طريق

---

(43) يُراجع في هذا الخصوص القسم الثالث من: Hélène Sader, Thomas Scheffler & Angelika Neuwirth (eds.), *Baalbek: Image and Monument, 1898-1998*, Beiruter Texte und Studien 69 (Wiesbaden: F. Steiner, 1998), pp. 247-347.

(44) Jidejian, *Byblos Through the Ages*.

(45) سنو، **المدن الأقطاب**، ص 68-70.

صيدا – جزين[46]. وفي مدينة صور، هناك منشآت مهمة؛ كقناة المياه المعلقة، وقوس النصر، وميدان سباق عربات الخيل، الأكبر بين ميادين العالم الروماني. وفوق جزء من المرفأ الجنوبي القديم، وُجدت حمامات وساحة للمصارعة تحيط بها أعمدة غرانيتية. ولا تزال هناك آثار رومانية في عمق بحر صور.

وعند مدخل الميناء في طرابلس، عُثر على تيجان وأفاريز مزخرفة وأعمدة، جرى نصب بعضها في المحلة، فيما كشفت عملات معدنية عن المعابد التي أقامها الرومان. وما لبث ازدهار المدينة أن انهار بسبب الزلزال الذي ضربها في عام 551.

أمّا قلعة بعلبك، ففيها ثلاثة صروح رئيسة هي: معبد جوبيتر الكبير، ومعبد باخوس (الصغير)، وفينوس، المعبد المستدير (الزهرة). وتحت معبد جوبيتر، افتُتح متحف غني في عام 1998، ضم مجموعات كبيرة من التماثيل والمنحوتات الرومانية. وقد ضرب بعلبك زلزال في عام 551، وآخر في عام 1759 أطاح ثلاثة أعمدة من أعمدتها الكورنثية التسعة. وعُثر في قرى قضاء بعلبك على كثير من بقايا الآثار الرومانية. ويُوجد في مجدل عنجر معبد روماني ومسكوكات ونقود، تظهر عليها صور كثير من الأمراء والملوك، فضلًا عن تماثيل كثيرة لرؤوس نساء ورجال[47]. وإضافة إلى ذلك، بنى الرومان في الجنوب اللبناني قلعة الشقيف (أرنون)، كما بنوا في بلدة شقرا قلعة توبية التي تحتوي على خندق كبير وبئر تُعرف بـ «المشنقة». كما أنهم رمموا قلعة تبنين في قضاء بنت جبيل[48].

3 – لبنان تحت الحكم البيزنطي

كانت بيزنطة استمرارًا مباشرًا للإمبراطورية الرومانية، بحفاظها على تقاليد تلك الدولة. وقد اعتبر البيزنطيون أنفسهم الروم، وسمّتهم كذلك

---

(46) Nina Jidejian, *Sidon through the Ages* (Beirut: Aleph, 2006).

(47) عفيف دياب وجوان فرشخ بجالي، «آثار مجدل عنجر بين النهب والإهمال»، **الأخبار**، 5/2/2010.

(48) «تاريخ لبنان في قلاعه الأثرية: بصمات رومانية وفينيقية وشهابية وصليبية!»، **جنوبية**، 12/9/2017، في: https://bit.ly/3cPPUxd

الشعوب المحيطة بهم. ومن هنا، كان يُطلَق على بلاد الشام الخاضعة لهم اسم «بلاد الروم». وما يميزها من الإمبراطورية الرومانية هو في توجهها نحو الثقافة اليونانية، فيما كان توجه روما نحو الثقافة الأوروبية الغربية. وقد دامت الإمبراطورية البيزنطية من عام 395 حتى عام 1453، عندما سقطت عاصمتها، القسطنطينية، في أيدي العثمانيين. وخلال الجزء الأكبر من وجودها، كانت واحدة من أقوى القوى الاقتصادية والثقافية والعسكرية في أوروبا، على الرغم من النكسات وفقدان الأراضي، خصوصًا في خلال حروبها مع الفرس، ومع العرب الذين استولوا على بلاد الشام ومصر والعراق وفارس وقبرص. وقد شكلت الدولة الفاطمية، في إحدى المراحل، تهديدًا لبيزنطة، بعد عدد من الحروب بينهما.

أ- فينيقيا وبيزنطة: من الوثنية إلى المسيحية الشرقية - التقسيمات الإدارية

حافظ سكان فينيقيا على وثنيتهم، حتى ظهور المسيحية. ومن اعتنق منهم الدين الجديد تعرض للاضطهاد، فهُدمت كنائسهم وأُحرقت كتبهم، وسقط عدد كبير منهم شهداء. وبمجيء الإمبراطور قسطنطين الكبير، واعترافه بالمسيحية دينًا من أديان الدولة، في عام 313[49]، أخذ نجم الوثنية يأفل، وبدأت المسيحية تنتشر في المنطقة، عقب جولات بولس الرسول في ساحل لبنان، وتهديم الهياكل الوثنية وتحريم الذبائح. ومنذ عام 395، ورثت الإمبراطورية الرومانية الشرقية، التي أسسها الإمبراطور قسطنطين، ومن بعدها الإمبراطورية البيزنطية، سياسة مكافحة الوثنية في ممتلكاتهما.

وما إن أطل القرن الخامس الميلادي، حتى بدت معالِم المسيحية واضحة في لبنان. فانتشرت الأسقفيات والكنائس في المدن الرئيسة، لكن أُسقفية صور تولت الرئاسة عليها كلها. أمّا جبيل، فتأخر دخول المسيحية إليها، كونها أهم مركز لعبادة الآلهة الوثنية. وبدأ تحوّلها إلى المسيحية عندما عيّن بطرس الرسول تلميذه يوحنا مرقس أسقفًا عليها، لكنها عانت الاضطهاد الرسمي.

(49) عمران، ص 41-46.

وبنتيجة انتشار المسيحية في لبنان، ازدادت أعداد المسيحيين في جبل لبنان، وأصبحت جبيل ذات الأكثرية المسيحية خلال القرن السادس تخضع للكرسي الأنطاكي[50]. وقام بطرس الرسول أيضًا بتعيين أسقف على طرابلس[51].

إداريًا، أنشأ البيزنطيون ثلاث ولايات في بلاد الشام: ولاية فينيقيا الأولى، التي ضمت ساحل المتوسط من أرواد في الشمال إلى عكا في الجنوب وعاصمتها صور؛ ولاية فينيقيا الثانية (الداخلية) وعاصمتها حمص، وضمت دمشق وبعلبك؛ ولاية فلسطين. وكانت طرابلس وصيدا وصور مراكز للأسطول البيزنطي[52].

ب- التجارة والحضارة والآثار

لم يُصب انشطار الإمبراطورية الرومانية ازدهار لبنان اقتصاديًا بأي ضرر، فكانت أقمشة صور وبيروت والصناعات المعدنية تجد طريقها إلى أسواق أوروبا. كما عرفت صيدا ازدهارًا دام قرابة قرن كامل؛ فكانت صناعاتها تجد رواجًا في أوروبا، ولا سيما بعد إدخال تربية دودة القز لإنتاج الحرير وتسويقه في أواسط القرن السادس الميلادي. واحتكر التجار المحليون تجارة الحرير الصيني الخام المستورد إلى المرافئ الفينيقية، وكان يُعاد حياكته وتصديره إلى أسواق إيطاليا.

وفي العهد البيزنطي، حافظت مدن لبنان الساحلية على طابعها الهلينستي، وضمت أعراقًا من اليهود واليونانيين، من غير أهلها الأصليين. وأثّرت المسيحية في الأدب والفنون البيزنطية في المدن الفينيقية، وجُعل الشعر والنثر والرسم وحفر الخشب والحجارة في خدمة المعتقد الجديد. وفي الوقت ذاته، انتشرت المسارح في مدينتي بيروت وصور، فيما ذاع صيت عازفي الناي البعلبكيين.

(50) مفرَج، ص 49-52.

(51) الزين، ص 43.

(52) محمد علي مكي، **لبنان من الفتح العربي إلى الفتح العثماني، 635-1516** (بيروت: دار النهار للنشر، 1977)، ص 12.

وانتشرت الحمامات العامة في ساحات المدن، وساد استعمال العملة الذهبية والفضية.

ترجِّح المصادر التاريخية والحفريات الأثرية، التي أُجريت في بيروت في عام 1994، أن كاتدرائية مار جاورجيوس للروم الأرثوذكس الحالية تتكئ على أنقاض ست كنائس تحتها، أُولاها كنسية أناستاسيس البيزنطية من القرن الخامس الميلادي، الواقعة قرب مدرسة الحقوق الرومانية، وتعرضت مع المدرسة لزلزال مدمِّر ضرب بيروت في عام 551[53]. وفي جبيل مخزون أثري مهم من الحقبة البيزنطية. وجرى قبل أعوام العثور على فسيفساء عرضها 23م واكتُشفت في صيدا آثار كنيسة أرثوذكسية بيزنطية من القرن الرابع، على مقربة من معبد أشمون، رُصفت أرضها والساحات حولها بالفسيفساء. وفي صور شارع روماني شهير رممه البيزنطيون، وهو ينتهي بقوس نصر يتألف من ثلاثة مداخل تهدمت جميعها في أواسط القرن السادس بفعل الزلازل التي ضربت مدن الساحل اللبناني. كما بنى البيزنطيون في بعلبك كنيسة مار يوحنا، التي يُعتقد أن مسجد أم عياد بُني عليها لاحقًا، ثم تحوّل بدوره إلى أنقاض.

ثالثًا: لبنان من الفتح الإسلامي إلى نهاية العهد المملوكي

1 - لبنان تحت الحُكم العربي/ الإسلامي

فتح العرب المسلمون مدن الساحل اللبناني، ومدينة بعلبك في الداخل، بين عامَي 633 و640. وأمر الخليفة عمر بن الخطاب بتقسيم المنطقة إلى أربعة أجناد، وهي: دمشق وحمص وفلسطين والأردن[54]، فأُتبع جبل لبنان

---

(53) جان دارك أبي ياغي، «مكتشفات بيروت تروي تاريخها: متحف كاتدرائية القديس جاورجيوس. تحت الكنيسة ست متكئات الواحدة إلى الأخرى»، مجلة **الجيش** (اللبناني)، العدد 310 (نيسان/ أبريل 2011).

(54) أُضيف إلى تلك الأجناد جند خامس في خلال العهد الأموي، هو جند قنسرين.

والجزء المجاور له من الساحل، من طرابلس إلى بيروت فصيدا، بجند دمشق، كما بعلبك والبقاع ووادي التيم. أمّا جبل عامل، فأُتبع مع صور بجند الأردن[55]. وبالنسبة إلى إدارة البلاد المفتوحة، فقد حافظ العرب الفاتحون على النُظم الإدارية الروميَة المعمول بها في المنطقة، وبقيت اللغة اليونانية لغة الإمبراطورية البيزنطية الرسمية، ولغة التواصل اليومي حوالى نصف قرن، عندما استُبدلت تلك النُظم بأخرى مُعرَّبة، نجم عنها استعراب البلاد بشكلٍ تامٍ في وقت لاحق.

أ- السكان والطوائف والأسلمة

تكوَّن سكان فينيقيا، في مطلع الفتوحات، من بقايا الفينيقيين وأقليات فارسية ويونانية ورومانية، وقبائل عربية تنتمي إلى قيس ويمن، استوطنت البقاع ووادي التيم والجنوب وبيروت، ما سرَّع النزاع العصبي بين القبيلتين في بلاد الشام الداخلية ولبنان[56]. وقد استوطن الفاتحون المدن إلى جانب أهلها الأصليين من اليهود والمسيحيين، الذين ظلوا يمارسون حياتهم اليومية وفق نظام «أهل الذمة». وهناك من الفاتحين من عاش في معسكرات خاصة، أو رابط على السواحل للدفاع عن الدولة الإسلامية.

وبعد ثلاثة قرون من الفتح الإسلامي، ظلت أعداد المسيحيين تشكل نصف أعداد السكان في بلاد الشام البالغ أربعة ملايين نسمة. وفي خلال القرون الثلاثة التالية، وبالتحديد إبان الحقبتين الصليبية والمملوكية، تسببت الصراعات والحروب في انهيار ديموغرافي بمقدار الثلثين، وخسرت المنطقة ثلثًا آخر من

---

(55) كمال الصليبي، **منطلق تاريخ لبنان، 634-1516م** (نيويورك: منشورات كارافان، 1979)، ص 35-36.

(56) مكي، ص 70. قام الصراع على ثنائية: عرب الشمال العدنانية أو القيسية، وتضم قبائل مضر وربيعة، وعرب الجنوب القحطانية، وأشهر قبائلها بني كلب وبني لخم. وعلى أساس هذا التقسيم قامت التحالفات، ودارت الصراعات في فترات القيسية، كان مركزها فيه. يُنظر: حامد فتحي، «عجّل بنهاية الأمويين وأضعف العرب في الأندلس... صراع القيسيين واليمنيين»، **رصيف 22**، 17 نيسان/ أبريل 2018، في: https://bit.ly/3eT3pyI

سكانها بسبب الطاعون، فأصبح عدد السكان مليونًا، من ضمنهم 150 ألفًا في لبنان[57]. وبسبب تفريغ مدن الساحل اللبناني من سكانها الأصليين، تجاوزت أعداد المسلمين أعداد المسيحيين بالتدريج، فأضحت جبيل ثغرًا إسلاميًا، ما أضعف علاقاتها التجارية بأوروبا، إلى أن احتلها الفرنج (الصليبيون)[58].

ومن ناحية أماكن استقرار الطوائف، تمركز المسلمون السنة في الداخل، وفي مدن الساحل، مع اليعاقبة والملكيين، أتباع بيزنطة، في مقابل حضور مسيحي في بعض المناطق الجبلية، في حين ظهر التشيع في جنوب لبنان. أمّا الدروز، فاستقروا في الغرب (قضاء عاليه) والشوف ووادي التيم، منذ انتشار مذهب التوحيد[59].

والجدير بالذكر أن موارنة لبنان لم يكونوا قد انتظموا في كنيسة مستقلة في عصر الفتوحات الإسلامية، لتبعيتهم لـ«كرسي أنطاكيا وسائر المشرق»، إلى أن انشقوا عنها في أواخر القرن السابع الميلادي[60]، فأصبحت لهم رئاسة دينية مستقلة تخضع سياسيًا للحُكم الإسلامي، وتعترف بالبابوية من الناحية الدينية[61].

ب- لبنان في العهدين الأموي والعباسي

اهتم الأمويون، وعاصمتهم دمشق، بتحصين المدن اللبنانية وتزويدها بالحاميات، كما اهتموا ببناء الأساطيل في بيروت وطرابلس لصد الغارات

---

(57) ألبر داغر، «أهل لبنان في أعمال المؤرخ كمال الصليبي (1/ 2): من العصر الإسلامي الأول إلى الإمارة الشهابية»، **الأخبار**، 27/ 8/ 2014؛ أحمد حطيط، **سكان لبنان في زمن الحروب الصليبية (1097-1290م)** (بيروت: دار المحجة البيضاء، 2010)، الفصل 5، ص 165-176، حيث يعالج مسألتي النزوح والهجرة.

(58) مفرج، ص 53-55.

(59) مكي، ص 12-14، 56-57، 94.

(60) بطرس ضوْ، **تاريخ الموارنة الديني والسياسي والحضاري**، ط 2 (بيروت: دار النهار للنشر، 1977)، ج 1: **من مار مارون إلى مار يوحنا مارون 325-700م**، ص 325-340.

(61) مكي، ص 53.

البيزنطية[62]. وجعل والي الشام معاوية بن أبي سفيان (حكم 661-680) من بيروت وجبيل نقطتي انطلاق للإغارة على مراكز استراتيجية في حوض المتوسط. وكانت صيدا وصور من أوائل المدن التي خضعت للمسلمين، فلقيتا اهتمامًا خاصًا بهما؛ إذ رمم معاوية قلاعهما وحصَّن أسوارهما لجعلهما قاعدتين بحريتين. أمّا طرابلس، فكانت آخر مدينة لبنانية تسقط في أيدي البيزنطيين.

وفي خلال العصر العباسي، توالى على صيدا أفراد من البيتين الأرسلاني والتنوخي[63]. وارتبط اقتصادا صيدا وصور معًا بحكم الجوار، إلا أنهما كانتا في العهد الإسلامي أقل ازدهارًا ممّا سبق. مع ذلك، أضحت صور صلة الوصل مع مصر، وكانت تقوم بتصدير منتجاتها إليها، فيما أصبح ميناؤها في بؤرة الصراع بين الفاطميين الشيعة والسلاجقة السنّة[64]. أما صيدون، التي أطلق العرب عليها تسمية «صيدا»، فعرفت حقبة طويلة من الصراع بين المسلمين والفرنج للاستحواذ عليها. من هنا، أجلت الدولة الإسلامية الكثيرين من أهلها المسيحيين، وأحلت مكانهم قبائل كردية من العراق وبدوية من الشام، وهذا ما حولها إلى فسيفساء عرقية ودينية. وقد تبعت صيدا نيابة دمشق في العهد الأموي.

بمرور الوقت، أخذت بيروت طابع المدينة العربية تحت الحُكم الأموي، وجرت أسلمتها ونشر اللغة العربية فيها إلى جانب اللغتين الآرامية والسريانية. وتحولت إلى مرفأ لدمشق، وأصبح لها حاكم يُسمى أمير بيروت، وآخر عسكري هو أمير البحر. وانسحب هذا على عهد العباسيين، الذين عيّنوا قاضيًا على المدينة. وقد أمَّ بيروت العلماء والمفكرون، فيما شجع الخلفاء العباسيون حركة الأدب والشعر والخطابة، وظهر في ذلك العصر اثنان من الأئمة الأربعة عند أهل السنّة، وهما الإمامان أبو حنيفة النعمان ومالك بن أنس.

---

(62) حنان قرقوتي شعبان، **بيروت ودورها الجهادي منذ الفتح الإسلامي حتى نهاية العهد العثماني** (بيروت: دار الكتب العلمية، 2003)، ص 28-29.

(63) مكي، ص 67-69.

(64) عمر عبد السلام تدمري، «مدينة صور في كتابات المؤرخين والرحالة. من الفتح الإسلامي حتى التحرير من الصليبيين»، في: **وثائق المؤتمر الأول لتاريخ مدينة صور**، ص 129-147.

ومع بدء عصر الدولة العباسية، التي جعلت بغداد عاصمتها، فقدت بيروت أهميتها العسكرية السابقة، لكن العباسيين حافظوا على موقعها التجاري. ومن بيروت، شع فكر الإمام عبد الرحمن الأوزاعي (707–774) الذي اشتهر في الدفاع عن مسيحيي جبة المنيطرة في خلال ثورة بعضهم في عام 758–760، ضد الإجراءات القاسية من والي الشام العباسي، وذلك بسبب ثقل ضريبة الخراج، وتعريب المنطقة وأسلمتها، كما بسبب تراجع نفوذ العباسيين، ما شجع على نشوء حركات عصيان، كانت ثورة المنيطرة إحداها[65].

بعد فتح طرابلس، عمل معاوية بن أبي سفيان على توطين جوالٍ إسلامية للمرابطة فيها وصد أساطيل البيزنطيين. وفي عهد الخليفة عبد الملك بن مروان (حكم 685–705)، جُددت عمارتها، لكن البيزنطيين غزوها في خلال عهد نجله الوليد بن عبد الملك (حكم 705–715)، ولم ينسحبوا منها إلا بعد مفاوضات. وفي خلال الحكم العباسي، ظلت طرابلس قرابة أكثر من قرن تابعة لدمشق. ثم كانت السيطرة على لبنان من الطولونيين والإخشيديين والفاطميين بالتوالي.

أمّا بعلبك، فعقب فتحها، منح المسلمون سكانها الأمان على أنفسهم وأموالهم، ودَفَع الجزية من رغب في البقاء فيها. وقد وجد الفاتحون فيها أعراقًا متنوعة، من روم وفرس. لكن بعلبك، ومعها ساحل لبنان، عادت إلى البيزنطيين في خلال عامي 975 و976. ثم فقدت الإمبراطورية البيزنطية لمصلحة الدولة الفاطمية ممتلكاتها في بلاد الشام، باستثناء أنطاكيا والجزء الشمالي من وادي العاصي.

ج- لبنان تحت الحكم الفاطمي

في سياق نشوء دويلات إسلامية على حساب الدولة العباسية، خضعت بلاد الشام لحكم الفاطميين الشيعة الذين تحالف معهم التنوخيون، أمراء

---

(65) جورج شلهوب، «الحيز الجغرافي اللبناني بين التمايز والتبعية في العهدين الأموي والعباسي»، مجلة **مرايا التراث**، العدد 3 (خريف 2015)، ص 107–116؛ ويُقارن بـ: الصليبي، **منطلق تاريخ لبنان**، ص 55–59.

الغرب. وعلى الرغم من انتشار الشيعة في جبل لبنان ومدنه الساحلية خلال القرن التاسع، ومن عدائهم للدولة العباسية[66]، لم يجد الفاطميون ترحيبًا من أهالي دمشق السنّة، فخرجت من أيديهم، ومعها بعلبك. وفي الوقت نفسه، اضطر الفاطميون إلى الدفاع عن مدن الساحل السوري ضد هجمات البيزنطيين المتكررة، فيما ثارت صور في عام 997، مستنجدة بهم. أمّا طرابلس الفاطمية، فاستعصت على البيزنطيين في خلال عام 999[67].

وبسيطرة السلاجقة السنّة على مدن الساحل اللبناني في عام 1074، وعلى دمشق وبعلبك، تزعزع حكم الفاطميين لكنهم استعادوا مدن الساحل حتى جبيل. وتمكنت طرابلس، بفضل قضاتها من أسرة بني عمار الشيعية، من بلوغ شكلٍ من أشكال الحكم الذاتي والازدهار، وامتلكت المدينة أهم مكتبة في بر الشام، وهي «دار العِلم» الغنية بتراثها الأدبي العربي واليوناني والفارسي[68].

من ناحية أخرى، تعززت في خلال القرن العاشر التجارة في البحر المتوسط بين الفاطميين من جهة والدويلات الإيطالية وبيزنطة من جهة أخرى، فازدهرت طرابلس وصور، حتى بداية استقلال المدينة الأولى عن الفاطميين منذ عام 1048، والثانية منذ عام 1063[69]. أمّا بيروت، فظلت فاطمية حتى دخول الفرنج إليها في عام 1099. لذا، عندما احتل الصليبيون لبنان في مطلع القرن الثاني عشر، وجدوه موطنًا للشيعة والموارنة والدروز، فيما سكن السنّة في الداخل وفي مدن الساحل، خصوصًا في بيروت. لكن الفرنج لم يتدخلوا في شؤون الجبل إلا نادرًا، في حين مارس الموارنة والشيعة التجارة مع الإمارات الصليبية في طرابلس وصيدا وصور.

---

(66) كمال ديب، **أمراء الحرب وتجار الهيكل: خبايا رجال السلطة والمال في لبنان**، مقدمة جورج قرم (بيروت: دار الفارابي، 2015)، ص 53.

(67) الصليبي، **منطلق تاريخ لبنان**، ص 65-66؛ الزين، ص 58.

(68) سنو، **المدن الأقطاب**، ص 166-167.

(69) الصليبي، **منطلق تاريخ لبنان**، ص 71-72.

2 - الهجوم الصليبي المعاكس على بلاد الشام

استجابة لدعوات البابوية، جهز ملوك دول غرب أوروبا وأمراؤها الإقطاعيون حملات «جهادية» معاكسة متتالية، منذ عام 1095، لاسترجاع الأراضي المقدسة في فلسطين، وإنقاذ بيزنطة، خط الدفاع الأول عن غرب أوروبا، التي سقطت مناطقها الشرقية في أيدي السلاجقة. فانضمت الدويلات الإيطالية والفرسان الأوروبيون إلى الحملات[70] التي سُميت «الصليبية»، نظرًا إلى شعار الصليب الذي رفعه الجنود. لكن الاحتكاك بين الفرنج والمسلمين لم يكن في ساحات الوغى فحسب، بل كان بين الجانبين علاقات تجارية وتبادل حضاري أيضًا؛ ذلك أن فترات الهدنة كانت أطول كثيرًا من أيام التحارب.

أ- الاحتلال الصليبي للبنان

عندما شن الفرنج الحرب على بلاد الشام، سقطت في أيديهم المدن اللبنانية تباعًا، بعد مقاومة، فضموا بيروت إلى مملكة القدس، باستثناء فترة الأعوام العشرة التي حكم فيها السلطان صلاح الدين الأيوبي (1174-1193)، صلحًا. وباستثناء طرابلس التي أصبحت كونتية، قسّم الفرنج لبنان إلى بارونيات، فامتدت بارونية بيروت من جبيل إلى صيدا، باستثناء بلاد الغرب، في حين أُتبعت بارونية جبيل بكونتية طرابلس. واستأنف مرفأ طرابلس نشاطه التجاري عندما أخذت القوافل تتردد عليه، وقام التجار الطرابلسيون بعبور خطوط العدو مزودين بجوازات مرور[71]. وحافظت المدينة في العهد الصليبي على مكانتها العلمية الرائدة السابقة، فيما سُمح لمسلمي المدينة بتأدية شعائرهم الدينية[72].

من ناحية أخرى، استولى الجنويون على جبيل ثمنًا لمساندتهم الصليبيين في احتلال طرابلس، وانحصر اهتمامهم في الترويج لتجارتهم،

(70) حطيط، **سكان لبنان**، ص 8.

(71) أنيس الأبيض، «التأثيرات الحضارية المتبادلة بين الفرنجة وسكان مدن الساحل اللبناني (1097-1291)»، **الحياة**، 25/ 3/ 2017.

(72) سنو، **المدن الأقطاب**، ص 167.

فيما نال البنادقة امتيازات تجارية في الكونتية[73]. أمّا بيروت، فكانت مركزًا تجاريًا نشطًا مع أوروبا للسلع الآتية من الشرق الأقصى والهند. وبسبب أهميتها الاستراتيجية، حرص الفرنج على تحصينها وتحصين مرفئها، لصد غارات المسلمين.

وبعدما استسلمت صيدا للفرنج في عام 1100، أضحت تتبع، مع بيروت، مملكة القدس، إلى أن احتلها السلطان صلاح الدين[74]. وقد حصل البنادقة على ثلث مدينة صور وجوارها لقاء مساندتهم الفرنج في احتلالها، كما تعاظم نفوذ الجنويين في تلك المدينة[75]. وشهدت صيدا وصور ازدهار التجارة والصناعة الحرفية التقليدية فيهما، وكذلك صادراتهما من السكر ومن المواد والأطعمة الشرقية إلى غرب أوروبا[76]، إشارة إلى أن الصليبيين عملوا على الاستفادة من جميع المزروعات اللبنانية.

ب- لبنان ساحة تلاقٍ حضاري - الآثار الصليبية

فتحت حروب الفرنج في الشرق الإسلامي أمامهم مجالًا واسعًا للاتصال، عن قرب، بحضارة أرقى من حضارتهم، فاقتبسوا منها الكثير في حقول التشريع والطب والفلك والفلسفة والفنون وغيرها، فيما لم يكن لديهم في المقابل ما يقدمونه للشرق العربي. فتعلّم الفرنج استخدام الحمام الزاجل في نقل الرسائل، واستعمال النار ليلًا لنقل المعلومات. وكان المحاربون الصليبيون والتجار يعودون من الشرق حاملين معهم منتجات الشرق. ومن نتائج الحروب الصليبية، بدء العمل التبشيري للرهبانيات بين المسلمين[77]،

(73) حطيط، **سكان لبنان،** ص 141-142.

(74) سنو، **المدن الأقطاب،** ص 168، 288-289.

(75) الياس القطار، «الحياة الاقتصادية لصور في العهد الفرنجي»، في: **وثائق المؤتمر الأول لتاريخ مدينة صور،** ص 63-64.

(76) الأبيض، «التأثيرات الحضارية»؛ حطيط، **سكان لبنان،** ص 149-150.

(77) فيليب حتي، **خمسة آلاف سنة من تاريخ الشرق الأدنى،** ج 1 (بيروت: الدار المتحدة للنشر، 1975)، ص 370-373.

وهو ما رأى البعض فيه رأس جسر للاستعمار، ووسيلة لإخضاع الشرق الإسلامي بوسائل سلمية، من دون أن يُكتب لها النجاح[78].

وفي ما يتعلق بالآثار الصليبية في لبنان، يُذكر أن هناك قلعة صيدا البحرية التي شيدتها بين عامَي 1227 و1228 جماعات تنتمي إلى حملة الفرنج السادسة. وقد استُخدمت في بنائها الحجارة المنحوتة الجاهزة وجذوع الأعمدة الموضوعة عرضيًا داخل الجدران والمأخوذة من أنقاض ما تهدم من أبنية قديمة يعود بعضها إلى العصر الروماني. وترتبط القلعة بالشاطئ بوساطة ممر أو جسر يقوم على عُقد من الحجارة تستند أطرافها إلى ركائز حجرية ضخمة كان ينتهي في الماضي عند طرفه المقابل لمدخل القلعة بقنطرة خشبية (معبر متحرك)، يمكن رفعها أو تدميرها عند الضرورة لعزل القلعة عن البر وبالتالي منع وصول المهاجمين إليها. كما تألفت القلعة من برجين في الجهتين الشمالية الشرقية والجنوبية الغربية منها، وتميزت بواجهتها الأسطوانية المقابلة للمدينة، وبمجموعة من النوافذ الصغيرة ومرامي السهام التي توزعت بين جهاتها المختلفة للمراقبة والدفاع[79]، كما عمد الفرنج، عند احتلالهم صيدا، إلى ترميم قلعتها البرية، وإقامة سور حولها لحمايتها من الهجمات. وأشهر من تولى تحصين تلك القلعة لويس التاسع، ملك فرنسا الذي اتخذ مركزًا له في حصنها خلال إقامته في صيدا بين عامَي 1250 و1254، وترك لـ«فرسان الهيكل» أمر حمايته بعدئذٍ، ولا تزال آثار قلعة لويس باقية حتى اليوم[80].

تُعتبر قلعة طرابلس من أشهر معالم الحقبة الصليبية. وهي شُيدت في عام 1105 لتكون حصنًا ما لبث أن تحول إلى قلعة محاطة بـ14 برجًا،

---

(78) مصطفى خالدي وعمر فروخ، **التبشير والاستعمار في البلاد العربية: عرض لجهود المبشرين التي ترمي إلى إخضاع الشرق للإستعمار الغربي**، ط 5 (صيدا/ بيروت: المكتبة العصرية، 1973)؛ حطيط، **سكان لبنان**، ص 177-178، 183-184.

(79) «قلعة صيدا البحرية بين ماضيها وحاضرها وتفاصيل أقسامها»، **النشرة**، 5/ 8/ 2017، في: https://bit.ly/3vFrJtR

(80) عبد معروف، «مدينة صيدا معالم أثرية تروي عبق التاريخ وعراقة الحضارات»، **القدس العربي**، 24/ 11/ 2018.

مع نظام دفاعي. أحرقها المماليك في عام 1289، ثم أُعيد بناؤها في عام 1308، ورُممت خلال العهد العثماني، وهي تتميز بسراديبها التي تربطها بمدينة طرابلس[81]. وفي صور بقايا كاتدرائية صليبية استُخدمت في عمارتها متروكات من المنشآت الرومانية كما عُثر في المدينة على برج صليبي. أمّا في جبيل، فبنى الصليبيون قلعتها على أساسات قلعة فارسية قديمة.

3 - لبنان تحت الحُكم المملوكي

ظهر المماليك في المشهد السياسي في مصر منذ نهاية القرن الثالث عشر، وهُم خلفوا الدولة الأيوبية في عام 1258، وكانوا، أساسًا، عبيدًا استُقدموا من آسيا، فورثوا عن السلاجقة والأيوبيين مهمة مقارعة الصليبيين، وحكموا مصر وبلاد الشام من القاهرة. وتعززت شرعيتهم في الحكم بانتصارهم على المغول في عام 1260، ووضْع حد لإمارات الصليبيين في بلاد الشام، بعدما فشل الفاطميون في مصر والدويلات الشيعية، ومن ضمنها دولة بني عمار في طرابلس، في مقاومة الاحتلال الصليبي.

أ- الحملات الكسروانية وتغيير الخارطة المذهبية - أوضاع المدن اللبنانية والتجارة

بعدما سيطر المماليك على بلاد الشام وطردوا الفرنج منها في عام 1291، قاموا بتقسيمها إلى ست نيابات إدارية، أهمها نيابة دمشق. أمّا لبنان، فتقاسمته التشكيلات الإدارية، وكان عبارة عن إمارات إقطاعية ومذاهب مختلفة. وقد تبعت بيروت وصيدا وبعلبك نيابة دمشق، فيما تبعت صور نيابة صفد، في حين شكلت طرابلس عاصمة نيابة، امتدت جنوبًا عبر جبيل إلى المعاملتين.

وعلى عكس السلاجقة والأيوبيين، اتبعت الدولة المملوكية في لبنان سياسة تغيير الخريطة المذهبية، فاستعانت بأمراء الغرب لشن الحملات التأديبية على الأقليات الدينية في كسروان، بين عامَي 1292 و1305، للاقتصاص منها

---

(81) سنو، **المدن الأقطاب**، ص 197-198.

بسبب تعاونها مع الفرنج أو تمردها على الدولة، وأعنفها في التاريخ الأخير الحملة ضد الموارنة والفِرق الشيعية والدروز، حين خُربت ممتلكات وقرى في كسروان، وقُتل المئات من السكان. وترتب على الحملة تغيير مهم في ديموغرافية المنطقة، فانتقل الشيعة إلى البقاع وجزين وجبل عامل، والنصيرية إلى منطقة عكار، والدروز إلى الشوف، ما أفسح المجال أمام بعض الجماعات من موارنة الشمال لملء الفراغ الديموغرافي في الجبل[82]، لا بسبب الاضطهاد البيزنطي فحسب، بل بسبب إمكان الاستفادة أيضًا من المناخ وتوافُر مقومات الزراعة[83]. ويشار إلى قيام المماليك بتوطين جوالٍ تركمانية وكردية سنّية على الساحل لحمايته من هجمات الصليبيين[84].

في سياق الصراع بين الغرب المسيحي والشرق الإسلامي، تعرضت بيروت، مرات عدة، لغارات أسطول جنوى. من هنا، حرص سلاطين المماليك على تحصين مرفأ بيروت وتحسينه، وجعلوه الميناء الرئيس لبلاد الشام. وقام ولاتهم بصنع السفن الحربية في أحواضه، وجددوا سور المدينة التي جعلوها قاعدة لغزو قبرص ورودوس. كما أنهم استقدموا خيالة من بعلبك ومن التركمان ومن أجناد أمراء الغرب لحماية ثغرها. كما يُذكر أن المماليك أنشأوا نظامًا للبريد بين بيروت ودمشق من أجل تسريع تبادل المعلومات.

وانتعشت بيروت مجدَّدًا في خلال العهد المملوكي، فأدت دورًا وسيطًا مهمًا في التجارة بين الشرق الأقصى والهند من جهة، وأوروبا من جهة أخرى، واشتهرت بمينائها النشط وحُسن أسواقها، فكان التجار المسلمون يأتون بسلع الشرق الأقصى والهند، من بهارات وأفاوية وكماليات، إلى سواحل بلاد الشام ومصر، حيث كانت تخزن في خانات، فيأتي إليها التجار من المدن الإيطالية وغيرها لشراء ما يلزم من سلع الشرق للأسواق

---

(82) أحمد حطيط، **الشيخ تقي الدين ابن تيمية: دراسة في فكره واجتهاداته** (لندن: مؤسسة التراث الدرزي، 2009)، ص 351-368.

(83) كمال الصليبي، **بيت بمنازل كثيرة: الكيان اللبناني بين التصور والواقع**، ترجمة عفيف الرزاز، ط 2 (بيروت: دار نوفل، 1991)، ص 184.

(84) الصليبي، **منطلق تاريخ لبنان**، ص 136-138.

الأوروبية؛ فحقق المماليك، بذلك، أرباحًا ضخمة[85]. يضاف إلى ذلك أن بيروت تميزت بآبارها وخصوبة تربتها، ووُصفت بجمالها وتديّنها وبجوامعها وكنائسها.

وشهدت طرابلس أيضًا ازدهارًا اقتصاديًا وتجاريًا، واستعادت نشاطها الزراعي، واشتهرت بصناعة الصابون والسكر والورق والمنسوجات الحريرية، وجعلها المماليك عاصمتهم الثانية بعد القاهرة. أمّا صيدا، فعانت سياسةَ المماليك الجائرة التي أضرت بدورها التجاري، وفرضهم الضرائب الباهظة عليها، حتى اضطر تجارها إلى مغادرتها. كما تهدمت بيوتها من جراء غارات أساطيل الفرنج من جنوى، ومن الاسبتارية[86].

ب- الآثار المملوكية في لبنان

تميزت طرابلس بعدد آثارها المملوكية، كما بعراقة أحيائها الداخلية وتشعباتها ودوربها الملتوية، وتقاطع شوارعها وأزقتها الضيقة تحت عقود الدور والمنازل، التي كانت توفر لها الحماية الذاتية[87]. وهي تحتوي على كنوز معمارية أثرية، فتضم أكثر من 200 مَعْلمٍ وأثرٍ مهم، بين قلعة وزاوية وجامع ومسجد وكنيسة ومدرسة وخان وحمّام وسوق وكتابات ونقوش، و«رُنوك»[88]، وغيرها من المعالِم الجمالية والفنية. كما أنها تتميز بمآذنها الرشيقة، وقواعدها المكعبة المزينة بالمقرنصات الإسلامية الثلاثية الأبعاد، على شكلِ بيوت النحل التي يعلوها مثمن، تليه ذروة علوية أسطوانية الشكل. وتنتشر في أسواقها القديمة عشرات البِرَك وسُبُل المياه، ما يميزها من غيرها من المدن العربية.

---

(85) أحمد حطيط، **قضايا في تاريخ المماليك السياسي والحضاري** (648-923هـ/ 1250-1517م) (بيروت: الفرات للنشر والتوزيع، 2003)، ص 190-213.

(86) جماعة دينية نشأت في مالطا، وانتقلت منها إلى قبرص، ثم إلى رودوس.

(87) الزين، ص 416-448؛ «المماليك في لبنان والمشرق»، مقابلة لغسان الشامي مع الدكتور الياس القطار، قناة الميادين، برنامج «أجراس الشرق»، 10 آذار/ مارس 2018.

(88) «رنوك» هي الشارات التي اعتمدها السلاطين والأمراء على عمائرهم وأدواتهم.

رابعًا: لبنان في العهد العثماني

تمكن العثمانيون، قبل انتزاعهم بلاد الشام ومصر من أيدي المماليك في خلال عامَي 1516 و1517، من الاستيلاء على القسطنطينية، حاضرة العالم المسيحي الشرقي، في خلال عام 1453، فكان ذلك نذير تحوّل استراتيجي كبير في الجغرافيا السياسية وفي تاريخ العلاقات الدولية. ووجد ظهورهم في المسرح السياسي في مصر وبلاد الشام ترحيبًا من سكانها المسلمين، كونهم يرفعون راية الإسلام. وقاموا بتطبيق نظام «أهل الذمة» على المِلل غير الإسلامية، فكان يُسمح لها بإدارة أحوالها الشخصية والإشراف على التعليم. لكن تضعضُع الدولة وخسارتها معظم ممتلكاتها في أوروبا، في خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، وتدخّل الدول الكبرى في شؤونها الداخلية، كل ذلك جعلها تركز، منذ عهد السلطان عبد الحميد الثاني (1876-1909)، على سياسة «الجامعة الإسلامية»[89] التي تستبدل تطلعات المسلمين نحو القومية والاستقلال، والعرب أساسًا، بالتضامن الإسلامي، وبالتالي إبقائهم تحت سدة «الخلافة»... حتى الثورة العربية الكبرى في عام 1916.

1 - لبنان تحت الحُكم العثماني - عهد الإمارتين المعنية والشهابية

أ- الإدارة العثمانية في لبنان وفلسفة الحكم

أبقى العثمانيون، بداية، على التقسيمات الإدارية المملوكية السابقة في بلاد الشام. وظلت بيروت في أغلبية عهودها أحد سناجق دمشق، أو تابعة لإيالة (ولاية) طرابلس، ثم لإيالة صيدا التي استُحدثت في عام 1660. وبالنسبة إلى حدود لبنان اليوم، فتقاسمتها ولايات صيدا وطرابلس ودمشق. وفي مطلع عام 1888، أصبحت بيروت عاصمة لولاية ساحلية حملت اسمها، وامتدت من اللاذقية شمالًا مرورًا بطرابلس حتى نابلس جنوبًا، وضمت خليطًا من الطوائف، ومن التجار والمبشرين والرحالة الأجانب.

---

(89) هي التضامن والتآزر بين المسلمين في العالم تحت إمرة السلطان العثماني بصفته خليفة.

أمّا فلسفة الحكم العثماني في لبنان، فقامت على ترك العصبيات الإقطاعية تحكم في مناطقها وفق مبادئ: فرض الأمن الذاتي، والولاء للسلطنة، وجباية الضرائب وإرسالها إلى اسطنبول. وفي حال حدوث أي خلل في ذلك، كانت جيوش الدولة العثمانية تغزو البلاد، وتُؤدب العصاة، أو تذكي الصراع بين الحزبين القيسي واليمني. من هنا، حكمت الأسرتان المعنية والشهابية لبنان، في ظل انقسام حزبي وطائفية مجتمعية[90]، محاطتين بولاة عثمانيين يتدخلون في شؤونهما، لكنهما أدتا أدوارًا محلية وإقليمية بارزة.

ب- المعنيون والشهابيون: من التوازن الداخلي إلى الانحياز الطائفي - إنجازات وعمران

كان لبنان البلد العثماني الوحيد الذي استطاعت فيه الأقليات الدينية المسيحية والدرزية في الجبل أن تحافظ على خصوصيتها إزاء الأكثرية الإسلامية في محيطها الساحلي. وقام المكوّن المجتمعي على ثنائية دينية تمثّلت في الطوائف المسيحية والإسلامية. وحلَّ المعنيون ذوو الأصول العربية محل التنوخيين الذين صاهروهم، كأمراء على الجبل، فبلغت قوّتهم ذروتها في عهد أميرهم فخر الدين المعني الثاني (1590-1635)، الذي حافظ، بداية، على علاقات جيدة بالولاة العثمانيين في دمشق، وبـ«الباب العالي»[91]، جاعلًا من صيدا عاصمة له.

وُصف الأمير فخر الدين الثاني بالرجل الجسور وصاحب الرؤية الاقتصادية، وبالسياسي الذي يعمل على تحقيق أهدافه ليجعل المنطقة من طرابلس إلى صفد، كما البقاع، ضمن إمارته. وفي عهده، تحولت بيروت وصيدا إلى منفذين استراتيجيين بحريين إلى أوروبا، فتزايدت قدراته ودخوله،

---

(90) «الطائفية المجتمعية» هي حالة سبقت «الطائفية - السياسية»، وقامت على الدين وخصوصية كل طائفة. يُراجع: عبد الرؤوف سنو، **لبنان الطوائف في دولة ما بعد الطائف: إشكاليات التعايش والسيادة وأدوار الخارج**، نصوص ودراسات بيروتية 135 (بيروت: المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، 2014)، ص 27-30.

(91) هو مركز الصدر الأعظم أو رئيس الوزراء في الآستانة.

وتُرجمت ببناء قوة عسكرية واتصالات بالبابوية والدويلات الإيطالية، وكذلك عقد اتفاقات تجارية مع الخارج[92]، ولا سيما مع إمارة توسكانا. وما لبثت هذه العلاقة أن تحولت إلى علاقات سياسية - عسكرية.

إزاء شكوك «الباب العالي» في نيات الأمير، فر الأخير إلى توسكانا بين عامَي 1613 و1618، ليعود إلى البلاد بعدما تغيرت القوى الحاكمة في الآستانة (اسطنبول). فقضى على خصومه المحليين في البقاع والشمال، جاعلًا من بيروت مقره الشتوي، بدلًا من صيدا. ومن جديد، ارتابت الدولة العثمانية بمشروعاته الداخلية وبعلاقاته الخارجية، خصوصًا في خلال حروبها مع الدولة الصفوية في فارس، وكذلك تآمُر البابوية ضدها، فأمر «الباب العالي» بالقبض على الأمير في عام 1635، ونُقل إلى الآستانة حيث نُفذ فيه حكم الإعدام.

ورث الشهابيون حكم المعنيين في عام 1697، وحصلوا على دعم الموارنة للبقاء في السلطة ومواجهة الدروز، وأخذوا يتنصرون، منذ أواسط القرن الثامن عشر، ويشجعون هجرة الموارنة إلى جنوب جبل لبنان، فغدا الجبل، مع الوقت، مسيحيًا في أغلبيته. ونتجت من ذلك تغيرات ديموغرافية تسببت بتداعيات خطِرة على العلاقات بين الموارنة والدروز بشأن الإمساك بمقدرات الجبل، توضحت معالمها خلال القرن التاسع عشر[93]. وقد تحالف الأمير بشير الثاني مع خديوي[94] مصر محمد علي باشا، خلال ثلاثينيات القرن المذكور، بهدف الانقلاب على الدولة العثمانية والاستيلاء على بلاد الشام، فجرى احتلال المنطقة والوصول إلى قلب الأناضول بين عامَي 1831 و1840. لكن قيام تحالف رباعي أوروربي داعم للسلطنة تألف من بريطانيا وروسيا والنمسا وبروسيا (مؤتمر لندن 1840)، وقصف بوارجه بعض المدن على الساحل اللبناني، وإنزال وحداته على ساحل جونيه، كل ذلك أجبر الفاتح

(92) أبرم الأمير في عام 1609 اتفاقية تجارية مع إمارة توسكانا، بهدف تسهيل التبادل التجاري، وفتح المرافئ اللبنانية والسورية أمام التجارة الأوروبية.

(93) يشير كمال الصليبي إلى أن هجرة الموارنة إلى جبل لبنان حدثت بسبب الاضطهاد البيزنطي لهم في حوالى نهاية القرن العاشر. يُراجع: الصليبي، **بيت بمنازل كثيرة**، ص 176-177.

(94) لقب فارسي الأصل، أطلق على ولاة مصر المعينين من قبل الدولة العثمانية.

المصري إبراهيم باشا على الانكفاء إلى داخل حدود بلده. وكانت لندن تفضّل بقاء الدولة العثمانية ضعيفة «في قيد الحياة» على رؤية محمد علي يسيطر على منطقة استراتيجية لها فيها طرق مواصلات مع الهند، فيما خشيت بطرسبورغ أن يضع محمد علي يده على الممرات العثمانية وعلى القسطنطينية، حيث كانت تنصبّ أطماعها[95].

ومنذ أن انقلب بشير الثاني على الدروز، وحرض على قتل زعيمهم بشير جنبلاط في عام 1825، قوي التحالف الماروني - الشهابي، لكنه أجج في البلاد الصراع الطائفي الذي تلاعب به المصريون، حتى انسحابهم من لبنان في عام 1840، بضغط عسكري دولي وتضافر ماروني - درزي ظرفي[96]، وتبع ذلك مغادرة الأمير البلاد إلى المنفى. منذ ذلك التاريخ، ما عادت مسألة الحكم في لبنان تكمن في وجود أمير مسيحي في السلطة «منحاز» إلى الموارنة فحسب، بل في «طائفية مجتمعية» ترفدها طائفية - سياسية[97] بدأتا تنخران الجبل، وتترسخان فيه، بفضل تدخّل الدول الأجنبية وتنافسها على المصالح والنفوذ في المنطقة.

وبالنسبة إلى إنجازات الأسرتين المعنية والشهابية، فعلى على صعيد الاقتصاد والتجارة، شجع كل من الأميرين فخر الدين الثاني وبشير الثاني زراعة **الزيتون** وشجر التوت، والعناية بغابات لبنان، وحقق **الحرير** اللبناني شهرةً عالمية خلال عهد فخر الدين، بفتح مرافئ لبنان أمام التجارة الأوروبية، بعدما جرى تطوير إنتاج الحرير في جبل لبنان ومحيطه[98]، فكانت السفن تتردد إلى ميناءي صيدا وبيروت، وتفرغ حمولاتها، وتُحمَّل بالحرير. وأدت بيروت دور المرفأ لمدينة دمشق، وقامت بخدمة معظم تجارتها الخارجية. وفي خلال

(95) زين نور الدين زين، **الصراع الدولي في الشرق الأوسط وولادة دولتي سوريا ولبنان** (بيروت: دار النهار للنشر، 1971)، ص 24-26.

(96) كمال الصليبي، **تاريخ لبنان الحديث**، ط 2 (بيروت: دار النهار للنشر، 1972)، ص 69-76.

(97) الطائفية - السياسية هي دور الانتماء الديني في النظام السياسي وفي توزيع السلطة بين طوائف البلاد على هذا الأساس.

(98) الصليبي، **بيت بمنازل كثيرة**، ص 197.

الحكم المصري، تعززت تجارة لبنان، وجرى العناية بمرفأ بيروت بعد توسيعه. وأقيم فيه محجر صحي في شرق قلعة المرفأ (الكرنتينا)، في عام 1834، بهدف عزل البحارة والوافدين إليها، كما جرى إنشاء ديوانين للصحة والتجارة، ضمّا أعضاء من سكان بيروت وطوائفها.

من الإنجازات الأخرى، بناء الأمير فخر الدين المعني الثاني قصر له في بيروت، وتوسيع موانئه وشق الطرق، وبناء الجسور والخانات والفنادق، وإيلاء الزراعة والصحة عناية خاصة. وأدت سياسته في الانفتاح على أوروبا إلى مجيء الإرساليات التبشيرية إلى لبنان، والاهتمام بالتعليم والاستشفاء. واهتم الأمير، كذلك، بالأمن، وبتحصين أبراج بيروت وتجميلها. ومن أهم مآثره، سياسة التسامح الديني والمساواة المطلقة بين المسلمين والمسيحيين، والجمع بين الموارنة والدروز تحت قيادته، وبالتالي الإنجاز التدريجي لنظرية «لبنان الملجأ»[99] التي كانت تصب في مصلحة «القومية اللبنانية». كما استفاد فخر الدين الثاني من رجال الدين الموارنة كسفراء له لدى دويلات إيطاليا والبابوية[100].

ولا يزال القصر الذي بناه الأمير بشير الثاني في بيت الدين إلى اليوم معلمًا شامخًا من معالم أسرة حكمت لبنان خلال حقبة مليئة بالحوادث، وهو مثال لفن العمارة اللبنانية في أوائل القرن التاسع عشر، ويتميز بقاعاته المزينة بالرخام والفسيفساء والنقوش الهندسية الجميلة، وبالزخارف والكتابات على جدرانها.

2 - لبنان: من الحرب الاجتماعية في عام 1860 حتى نهاية الحرب العالمية الأولى

بزوال الحكم المصري عن لبنان، ووقوع حرب طائفية بين الموارنة والدروز في عام 1841، بسبب شدة التناقضات الموروثة بينهما، وتداعيات

(99) المرجع نفسه، ص 173-174.

(100) ألبرت حوراني، **الفكر العربي في عصر النهضة**، 1798-1939، ترجمة كريم عزقول (بيروت: دار النهار للنشر، 1968)، ص 81.

إقصاء الأسرة الشهابية عن الحكم، استحدثت الدول الكبرى في مطلع عام 1843 «نظام القائمقاميتين» الذي قضى بتقسيم الجبل إلى منطقتين، درزية ومسيحية، من دون أن تحقق أيٌّ منهما صفاءً مذهبيًا. فكان هذا «الحل» الطائفي – السياسي الجرثومة التي دخلت إلى الجسم اللبناني.

أ- الحرب الاجتماعية في عام 1860 ونتائجها، الطائفية – السياسية

ساهمت التناقضات الاجتماعية والتحريض الخارجي ودور الإرساليات في تغذية النعرات الدينية، وتشديد السلطنة على الهوية الدينية، في اندلاع حرب طائفية جديدة بين الموارنة والدروز في عام 1860، ما أدى إلى تدخّل فرنسا العسكري في لبنان لحماية الموارنة بموافقة دولية، وبالتالي وضع الدول الكبرى والسلطنة في عام 1861/ 1864 نظامًا جديدًا لجبل لبنان على أنقاض القائمقاميتين، عُرف بـ«نظام المتصرفية». وكان من مساوئ النظام الأخير خسارة الجبل سهل البقاع، وتجريده من الموانئ، وتعيين متصرف كاثوليكي أجنبي الجنسية عليه. صحيح أن الجبل عاد موحدًا، وتقاسمت الطوائف السلطة في مجلس إدارته، وكانت الغلبة فيه للمسيحيين بصفتهم الأكثرية، إلا أن اللبنانيين وجدوا أنفسهم، منذ ذلك الحين، في داخل نفق لنظام طائفي – سياسي ترفده طائفية مجتمعية وتغذيه، فتَهَدد بذلك التعايش الطوائفي بتوترات وصراعات داخلية.

ومن نتائج حوادث عام 1860، انهيار النظام الإقطاعي الماروني، ودخول البلاد في النظام الرأسمالي، وهبوط المسيحيين إلى بيروت وضواحيها والاستقرار فيهما، وتأسيس الشركات التي تتعامل مباشرة مع أوروبا وتصدّر الحرير إليها، وظهور طبقة تجارية جديدة من العائلات المسيحية والإسلامية[101]. أمّا جبل لبنان، فتعرّض بسبب جغرافيته وحدوده وتعسف الحكم العثماني، لأوضاع اقتصادية صعبة تسببت بهجرة أبنائه إلى مصر وأفريقيا والأميركتين[102].

---

(101) الصليبي، **بيت بمنازل كثيرة**، ص 204-205.

(102) عبد الله الملاح، **الهجرة من متصرفية جبل لبنان، 1861-1918** ([بيروت: المؤلف]، 2007).

وفي طرابلس، حدث ازدهار اقتصادي، وتمكنت المدينة، حتى الحرب العالمية الأولى، من تصدير منتجاتها التقليدية. كما أنها شهدت نهضة عمرانية في عهد متصرفها عزمي بك. أمّا صيدا، التي أتبعها العثمانيون بولاية سوريا منذ عام 1864، فإنها حاولت الالتحاق بالمتصرفية، من دون أن تستجيب لها الإدارة العثمانية. وما كانت الدولة العثمانية لتوافق على اقتطاع مناطق إسلامية وإلحاقها بالمتصرفية، لأنها كانت في الأصل ضد إنشائها، وأُرغمت على ذلك بضغط أوروبي. كما أن سكان المتصرفية المسيحيين ما كانوا ليوافقوا بدورهم على ضم مسلمين إلى «كيانهم» الجديد، وبالتالي تقليص نسبتهم المئوية، البالغة 80 في المئة من إجمالي سكانه. وظل التقسيم الإداري هذا قائمًا حتى عام 1888، عندما أصبحت صيدا أحد الأقضية الخمسة لولاية بيروت، وامتدت من جزين ومرجعيون إلى قضاء صور.

على الرغم من ضعف السلطنة أمام أوروبا خلال القرن التاسع عشر، تمسك مسلمو بلاد الشام بها، كونها تشكل مظلة حامية لهم من أطماع الدول الاستعمارية. وعند صدور الدستور العثماني في عام 1908، رحّب به مسلمو المدن اللبنانية، كما رحبّ به مسيحيو بيروت ومسلموها، فيما رفض موارنة الجبل إرسال مندوبين عنهم إلى البرلمان العثماني، فأدى ذلك إلى شرخ مجتمعي بين الجبل المسيحي والساحل الإسلامي بخلفيات طائفية[103]، ولم ترأب الشرخَ دعواتُ المفكر عبدالرحمن الكواكبي إلى القومية العربية[104]، ولا دعوات نجيب عازوري إلى دولة تسووية: خلافة إسلامية في الحجاز، ودولة فدرالية في بلاد الشام والعراق[105]. صحيح أن الوعي القومي، وجهد

(103) عبدالرؤوف سنو، «صدى الدستور العثماني في صحافة بيروت عام 1908»، في: **الأمة والدولة والتاريخ والمصائر: دراسات مهداة إلى الأستاذ رضوان السيد بمناسبة بلوغه الستين** (بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، 2011)، ص 343-364.

(104) حول فكر الكواكبي، يُنظر: عبدالرحمن الكواكبي، **الأعمال الكاملة للكواكبي**، سلسلة التراث القومي (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1995)، ص 94-99؛ ويُقارن بـ: Hassan Saab, *The Arab Federalists of the Ottoman Empire* (Amsterdam: Djambatan, 1958), pp. 202-206.

(105) Nagib Azoury, *Le Réveil de la nation arabe dans l'Asie turque en présence des intérêts et des rivalités des puissances étrangères, de la curie romaine et du patriarcat oecuménique, partie asiatique de la question d'Orient et programme de la Ligue de la patrie arabe* (Paris: Plon-Nourrit et Cie, 1905).

النُخب المسيحية والإسلامية في اتجاه اللامركزية تحت الحكم العثماني خلال «المؤتمر العربي الأول» في باريس في عام 1913، أديا إلى تحوّل بيروت إلى مركز رئيس للجمعيات الإصلاحية العربية التي تبلورت أفكار بعضها نحو «اللامركزية»[106]، إلا أن المسلمين فهموا المصطلح الإداري - السياسي على أنه البقاء تحت مظلة «الرابطة العثمانية»، في حين استخدم المسيحيون العروبة قاسمًا مشتركًا بينهم وبين المسلمين، في سبيل التخلص من الحكم العثماني[107].

ب- المدن اللبنانية: نهوضها الثقافي وازدهارها وتطورها المُدني

بتعاظم أهمية بيروت التجارية وبروزها مركزًا متقدمًا للتعليم والثقافة، وخشية الوجود الأجنبي القنصلي والتجاري فيها، ما كان من الدولة العثمانية إلا أن جعلتها في عام عاصمة ولاية ساحلية، تجمع بين الطابعين الشرقي والأوروبي، فيما تقاسم المسلمون والمسيحيون من أبنائها مجالس إدارتها. ثم توسعت المدينة إلى خارج أسوارها، فتضاعف عدد سكانها مرات عدة حتى نهاية القرن، ما أفقد الطائفة السنّية، منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر أكثريتها الديموغرافية التي تمتعت فيها سابقًا، وأضحت المدينة مسيحية - أوروبية بنسبة 60 في المئة من سكانها. وقد زارها إمبراطور ألمانيا غليوم الثاني في خريف عام 1898، في سياق رحلة إلى الشرق شملت جبل لبنان وبعلبك ودمشق وفلسطين[108].

وبسبب صراعات الولاة والحكام والمتسلمين على السلطة والنفوذ في بلاد الشام، رأى الباب العالي أن يستعين على حكمها بولاة أقوياء من

(106) **وثائق المؤتمر العربي الأول 1913: كتاب المؤتمر والمراسلات الدبلوماسية الفرنسية المتعلقة به، الدولة العثمانية وظروف نشأة الحركة العربية**، تقديم ودراسة وجيه كوثراني (بيروت: دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، 1980).

(107) C. Ernest Dawn, *From Ottomanism to Arabism; Essays on the Origins of Arab Nationalism* (Urbana: University of Illinois Press, 1973).

(108) Abdel-Raouf Sinno, «The Emperor's Visit to the East as Reflected in Contemporary Arabic Journalism,» in: Sader, Scheffler & Neuwirth (eds.), pp. 115-133.

العنصر المحلي، فتعاقب على ولاية طرابلس من عام 1727 وحتى الاحتلال المصري لبلاد الشام، ولاة محليون كانوا في معظمهم من آل العظم[109]. وفي عام 1888، أصبحت طرابلس جزءًا من ولاية بيروت. وشكلت صيدا، على غرار بيروت، ملاذًا آمنًا لعدد كبير من الفلاحين الموارنة الذين لجأوا إلى خان الإفرنج[110] خلال حوادث 1860، التي لم تتأثر بها مدينة طرابلس، فكانت المصالح الاقتصادية والتعايش السابق بين مسيحيي طرابلس ومسلميها أقوى من أن تشق الوفاق بين أبناء الطائفتين[111]، علاوة على أن المدينة اشتهرت بثقافتها ومدارسها وصحافتها[112].

منذ منتصف القرن التاسع عشر، تأسست في مدن لبنان، خصوصًا في الجبل وبيروت وطرابلس وزحلة، الجمعيات العلمية والأدبية والسياسية. وجرى افتتاح عدد كبير من المدارس التبشيرية والوطنية والعثمانية والمطابع والصحف والمكتبات، ونمت الترجمة والفنون المسرحية. كما شُقت الطرقات للعربات، ودُشنت السكك الحديد (بيروت – دمشق في عام 1895، وطرابلس – حمص في عام 1911)، وبدأ عمل الترامواي الكهربائي في بيروت في عام 1908، والإنارة بالغاز أولًا، ثم بالكهرباء. وجرى رصف أسواق المدن الرئيسة، وتأسيس البلديات ومراكز البريد والبرق، فيما شهد كلٌّ من مرفأ بيروت ومرفأ طرابلس ازدهارًا ملحوظًا، والانتقال من نظام الخانات إلى الفندقة، وبناء الأسواق المتخصصة وطوائف الحرفيين. ويوجد في صيدا عدد من الحمامات والخانات والقيساريات، كما البيوت الأثرية، أهمها قصر آل دبانة الذي يعود تاريخ إنشائه إلى عام 1721،

---

(109) عبد الكريم رافق، **العرب والعثمانيون، 1516–1916** (دمشق: مطابع ألف باء – الأديب، 1974)، ص 234–323.

(110) بناه الأمير فخر الدين المعني الثاني في عام 1610، ثم تملكته الحكومة الفرنسية، وآل إلى التجار الفرنسيين للإقامة فيه. وشكّل الخان خلال القرن التاسع عشر أهم مركز للنشاط التجاري في مدينة صيدا؛ فانتشرت حوله الأسواق والدكاكين المتخصصة. وفي هذا الخان، عقد الأمير فخر الدين الثاني أهم الاتفاقيات التجارية مع توسكانا. يُنظر: سنو، **المدن الأقطاب**، ص 328–329.

(111) الزين، ص 319.

(112) مارون عيسى الخوري، **ملامح من الحركات الثقافية في طرابلس خلال القرن التاسع عشر** (طرابلس، لبنان: جروس برس، 1983).

و«متحف الصابون» الذي أسسه آل عودة في القرن السابع عشر، وأُعيد ترميمه بعد حرب لبنان (1975-1990)، وسراي الأمير فخر الدين الذي يقع على تلة مشرفة على البحر في منطقة الأربعين.

من ناحية أخرى، تميزت المدن اللبنانية بإنتاجها الزراعي والحرفي المتنوع، وبتجارة الحمضيات والفواكه، وبصناعات الصابون والكتان والأقمشة والحلويات... هذا النهوض الاقتصادي رافقه تحسن في الشؤون الصحية، وإنشاء الأحياء الجديدة في المدن، كما الاختلاط والتعايش الطوائفي، حيث لم يخلُ حي واحد في المدن من مسجد أو كنيسة. وفيما أصبحت بيروت وطرابلس وصيدا قبلة الأجانب ووكالاتهم التجارية والقنصلية، وتحولت إلى مراكز تبشيرية وثقافية، يغلب التفرنج على الأولى، من دون أن تفقد أصالتها الشرقية، حافظت طرابلس وصيدا، في المقابل، على طابعهما الإسلامي المنفتح.

ج- المجاعة في لبنان والتسويات الاستعمارية والمواقف المحلية

بعد مرور ثلاثة أشهر على اندلاع الحرب العالمية الأولى، انضمت الدولة العثمانية إلى «دول المحور»، وألغت «الامتيازات الأجنبية»[113] في السلطنة كلها. وساءت الأمور في لبنان، بسبب منع السلطات دخول الحنطة والحبوب إلى الجبل، واستحواذ ألمانيا، حليفة الدولة العثمانية، على القمح السوري لمصلحة جيوشها في المنطقة، فضلًا عن ارتفاع الأسعار والاحتكار والمضاربة من تجار محليين متواطئين مع موظفين عثمانيين، عدا الحصار البحري لدول «الوفاق الودي»، بريطانيا وفرنسا وروسيا. وقد أدت هذه الأوضاع إلى انتشار المجاعة والأمراض في المدن اللبنانية، وإلى هجرة وموت نحو ثلث سكان المتصرفية[114].

(113) هي عقود منحها السلاطين العثمانيون للدول الأجنبية في مجالات التجارة والاقتصاد والثقافة والقضاء، وأعطوها وضعًا تفضيليًا في السلطنة، ما سمح لها، في ما بعد، بالتدخل في شؤون البلاد الداخلية.

(114) عبد الرؤوف سنو، «ألمانيا والمجاعة في لبنان خلال الحرب العالمية الأولى: سياسة ومسؤولية إنسانية»، **مجلة الدراسات الأمنية والقانونية والعلمية والاجتماعية والإنسانية**، العدد 80 (2019)، ص 27-29؛ سنو، **المدن الأقطاب**، ص 172، 292، ويُقارن بـ: الزين، ص 352.

وكان جمال باشا، القائد العثماني على لبنان وسورية، قد ألغى، عمليًا، «بروتوكول المتصرفية»، وصادر المؤسسات الأجنبية للدول المعادية، وأقفل الصحف، ولاحق الوطنيين، واعتقل العشرات منهم، وفرض التجنيد العسكري الإلزامي، حتى أنه أمر، خلال عامَي 1915 و1916، بإعدام عدد من المعارضين لسياسة بلاده شنقًا في ساحة البرج التي سُميت «ساحة الشهداء»، منذ ذلك الحين. وقد أمر جمال باشا باقتلاع سكة حديد طرابلس لاستخدامها في حملته من فلسطين على قناة السويس[115].

وخلال الحرب، تأثرت المدن اللبنانية بالثورة العربية الكبرى التي قادها الشريف حسين بن علي ضد العثمانيين، منذ من عام 1916، بهدف إقامة حكم عربي في الحجاز وبلاد الشام تحت قيادته، بالتعاون مع الإنكليز. ولاستمالة العرب، عمدت بريطانيا وفرنسا، اللتان عقدتا اتفاقية سايكس - بيكو السرية في عام 1916، إلى تقاسم النفوذ بينهما في بلاد الشام والعراق بعد انتهاء الحرب. كما عمدت بريطانيا، التي أصدرت «إعلان بلفور» العام التالي، إلى تقديم تعهدات للعرب، عشية انتهاء الحرب العالمية، بإقامة حكومات وإدارات محلية في سورية والعراق بعد الحرب؛ هذا التصريح الذي لم يأت إلى ذكر الاستقلال، وقد تنكرت له الدولتان في ما بعد[116].

ظهر في لبنان خلال الحرب تياران سياسيان ذوا أجندات مختلفة، كان **الأول**، ذو الأغلبية الإسلامية، يسعى إلى قيام وحدة عربية في بلاد الشام، وكان **الآخر** الماروني يعمل على إنشاء كيان لبناني مستقل. وفي تشرين الأول/ أكتوبر 1918، أعادت الحكومة العربية في دمشق امتيازات المتصرفية، وتسلّم حبيب باشا السعد الحكم على الجبل[117]، لكن سرعان ما تبين أن الاستقلال الذي أعلنته الحكومة العربية مجرد سراب؛ إذ قامت

---

(115) سنو، **المدن الأقطاب**، ص 172.

(116) «Anglo-French Declaration,» *Global Policy Forum*, 7 November 1918, at: https://bit.ly/3eWrox1

(117) خيرية قاسمية، **الحكومة العربية في دمشق بين 1918-1920** (القاهرة: دار المعارف، [د. ت.])، ص 57.

بريطانيا، بالاتفاق مع حليفتها فرنسا، بإنهاء المظاهر العروبية في لبنان، فيما حل جيش الأخيرة محل الجيش البريطاني. وقد اعتبرت فرنسا أن الإجراءات الاستقلالية التي قام بها الأمير فيصل في سورية ولبنان مخالفة لتعهداته بموجب اتفاقه مع رئيس الوزراء الفرنسي كليمنصو في مطلع عام 1920 بقبوله بالانتداب الفرنسي على سورية، فقامت فرنسا على الفور بالقضاء على حكم الأمير فيصل في معركة ميسلون، 24 تموز/يوليو، ودخلت إلى دمشق[118].

خامسًا: دولة لبنان الكبير - مسارات النزاع والوفاق

على الرغم من تلاقي النخب اللبنانية في باريس، في عام 1913، حول مصير بلدهم، فإن نهاية الحرب العالمية شهدت افتراقًا بين الجانبين: زعامات إسلامية تسعى إلى توحيد بلاد الشام تحت سلطة عربية[119]، يخلط بعضُها، مع قواعده الشعبية، بين الإسلام والعروبة[120]، ومسيحيون، بأغلبية مارونية، يخشون إسلامًا يزحف عليهم برداء العروبة، ويريدون، وفي ذاكرتهم 400 عام من الحكم العثماني، إنشاء وطن قومي بمساحة أكبر من متصرفية جبل لبنان، لضمان مقومات العيش والاستقلال. من هنا، أعطت قرارات مؤتمر سان ريمو في نيسان/أبريل 1920، بشأن وضع لبنان تحت الانتداب الفرنسي، دفعة قوية لترسيخ الكيان اللبناني الجديد، تطبيقًا لاتفاقية سايكس - بيكو[121]. وتُرجم ذلك بإعلان فرنسا إنشاء «دولة لبنان الكبير» في الأول من أيلول 1920، تحقيقًا لأماني الموارنة في دولة مستقلة.

---

(118) المرجع نفسه، ص 194-209.

(119) الصليبي، **بيت بمنازل كثيرة**، ص 213-214.

(120) رغيد الصلح، **لبنان والعروبة: الهوية الوطنية وتكوين الدولة** (بيروت: دار الساقي، 2006)، ص 48.

(121) جورج أنطونيوس، **يقظة العرب: تاريخ حركة العرب القومية**، ترجمة ناصر الدين الأسد وإحسان عباس، ط 3 (بيروت: دار العلم للملايين، 1969)، الفصلان 13-14.

1 – لبنان الكبير من التأسيس إلى الاستقلال

أ– تداعيات ولادة لبنان الكبير: انخراط إسلامي تدريجي فيه

عند تأسيس الكيان اللبناني الجديد، دقت ساعة المواجهة بين الموارنة والمسلمين؛ إذ اعتبره الأولون يصون هويتهم التي أوجدوا لها روافد حضارية عديدة، أهمها «الفينيقية»، بينما رفض الآخرون المقولة تلك، وتمسكوا بعروبتهم وإسلامهم، وبأن لبنان الكبير وليد دولة استعمارية. لذا، تطلع المسلمون والقوميون العرب، في حينه، إلى محيطهم العربي الكبير للاندماج فيه، على الأقل في سورية[122]، وترجموا ذلك بمقاطعة الإحصاء السكاني لعام 1922، ورفض وضع شارة «لبناني» على بطاقات هوياتهم[123].

كي تسهل فرنسا انتدابها على لبنان، عملت على دمج الطوائف اللبنانية في الكيان الجديد، وأجرت إصلاحات إنمائية في الإدارة وقطاع الخدمات والبنى التحتية، وجرى في عام 1926 وضع دستور طائفي للجمهورية اللبنانية، وتعيين الأرثوذكسي شارل دباس، الأقل استفزازًا للطوائف، رئيسًا لها، وسط امتعاض الموارنة. وفي عام 1934، كان الماروني حبيب باشا السعد ثاني رئيس للجمهورية. لكن هذا العامل الطائفي «الموقت» الوارد في الدستور، ظل مستمرًا حتى اليوم، عبر «اتفاق الطائف».

بالعودة إلى المسلمين المقاطعين، في أغلبيتهم، للبنان الكبير، أو المتحفظين عنه، نشير إلى أن سلطة الانتداب استرضتهم، فاتسمت مواقف بعضهم بالواقعية السياسية، وانخرطوا في إدارة الدولة منذ عام 1920، وإن بشكلٍ متدرج[124]، في حين أن في المقابل، دعا آخرون من المسلمين إلى

---

(122) استمرت هذه المواقف حتى المعاهدة الفرنسية – السورية في عام 1936. يُنظر: الصلح، ص 46–48.

(123) محمد جميل بيهم، **لبنان بين مشرق ومغرب، 1920–1969** ([بيروت: المؤلف، 1969])، ص 24.

(124) بشأن انخراط مسلمين في لبنان الكبير، يُراجع: عبد الرؤوف سنو، «دولة لبنان الكبير، 1920–2018: مقاربة قويمية»، **مجلة الدراسات الأمنية والقانونية والعلمية والاجتماعية والنفسية**، العدد 81 (كانون الثاني/ يناير 2020)، مستند 1، ص 48.

أحد خيارين: إمّا ضم المناطق الإسلامية في لبنان الكبير إلى سورية، وإمّا إقامة فدراليتين، مسيحية في جبل لبنان، وإسلامية في المناطق التي ضُمت إلى لبنان الكبير، لكن لم يُستجَب لهم[125]. وما لبث مؤتمر الساحل الثالث، الذي عُقد في آذار/مارس 1936، أن أفرز موقفًا إسلاميًا لمصلحة لبنان الكبير، عندما انسحب بعض المشاركين منه، رافضين توقيع مذكرة تطالب بضم الساحل والأقضية الأربعة إلى سورية[126]، ومن هؤلاء كاظم الصلح وعادل عسيران وشفيق لطفي. وما لبث الصلح أن نشر مقالةً صحافية، عبّر فيها عن القبول بلبنان الكبير دولة مستقلة عن سورية، إلى أن يحين الوقت لقيام دولة عربية اتحادية[127].

وضع اعتراف سورية بلبنان الكبير، بموجب المعاهدة الفرنسية – السورية في أواخر عام 1936، حدًا لطموحات القوميين العرب الوحدوية[128]، وبدأ المسار السياسي يتجه، منذ ذلك الحين، إلى اعتراف مسلمي لبنان الكامل بلبنان الكبير[129]، فارتفع مؤشر الوفاق في لبنان ظرفيًا، وبلغ ذروته في مسألتين: توافُق المسلمين والمسيحيين على ميثاق للتعايش الوطني، وتوحيد مواقفهم في معركة الاستقلال لإنهاء الانتداب الفرنسي على البلاد. فكيف حدث ذلك؟

---

(125) إدمون رباط، **التكوين التاريخي للبنان السياسي والدستوري**، ترجمة حسن قبيسي، أعده للنشر جورج كتورة، منشورات الجامعة اللبنانية، قسم الدراسات القانونية، السياسية والإدارية 17 (بيروت: منشورات الجامعة اللبنانية، 2002)، ص 619–621.

(126) المناطق الساحلية هي: سنجقا بيروت وصيدا، وسنجق طرابلس مع مناطقه الداخلية. أما الأقضية الأربعة، فهي: البقاع وبعلبك وحاصبيا وراشيا. حول الموضوع، يُنظر: الصلح، ص 55–56.

(127) أنطوان الحكيم، **من متصرفية الجبل إلى دولة لبنان الكبير، 1914–1920** (بيروت: الفرات للنشر التوزيع، 2018)، ص 253–254.

(128) الصلح، ص 77.

(129) يُراجع الفصل الرابع من كتاب: شمس الدين الكيلاني، **تحولات في مواقف النُخب السورية من لبنان (1920–2011)** (الدوحة/بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2012).

منذ أواخر الثلاثينيات، دخلت قيادات برجوازية مارونية وسُنية معًا في حوارات دائرة حول أفضل الطرائق للتعايش الطوائفي، تجمعها قواسم مشتركة ومصالح اقتصادية، وإدراك البرجوازية المسيحية أن من الحماقة فصل لبنان عن داخله العربي، في مقابل تنبُّه البرجوازية الإسلامية إلى أن مصالح المسيحيين المتينة مع فرنسا والغرب ستعود بالفائدة الاقتصادية عليها. بمعنى آخر، جرى التوفيق بين القومية العربية (المطلب الإسلامي)، والقومية اللبنانية الناشئة (مطلب المسيحيين الموارنة)، وهو ما سينتج منه «الميثاق الوطني» في عام 1943. مع ذلك، لم تتقبل أغلبية المسلمين الوطن الجديد إلا مكرهةً، بسبب شعورها بالتهميش، وبسبب التنافر بين هويتين عربية ولبنانية، تستند كل واحدة منهما إلى الدين[130].

سجلت الديموغرافيا «المشاغبة»، صعودًا لمصلحة المسلمين وهوية الدولة الجديدة ودستورها الطائفي، ونوعية المناصب السياسية والإدارية وحجمها وتوزيعها، وأدت دورًا في النزاع بين المسيحيين والمسلمين؛ حيث كانت أغلبية المسلمين ترتاب بالمعاهدة الفرنسية - اللبنانية التي أبرمها البرلمان اللبناني في تشرين الثاني/ نوفمبر 1936، ذلك بأنها لم تلحظ المدة الزمنية لبقاء القواعد العسكرية الفرنسية في لبنان[131].

صحيح أن الاتجاهَ الماروني العام كان مع لبنان الكبير، إلا أن قلة من قياداته حذرت، في حينه، من ذوبان لبنان المسيحي في الديموغرافيا الإسلامية السريعة النمو، فطالبت بالعودة إلى «لبنان الصغير»، **وزيادة**، وبأن يقتصر توسيعه على المناطق الحيوية لأمنه القومي والاقتصادي، وكان من أهم تلك القيادات

---

(130) عصام كمال خليفة، **من الميثاق الوطني اللبناني إلى الجلاء**، 1938-1946 (بيروت: [المؤلف]، 1998). وقد وصف الصحافي والسياسي محيي الدين نصولي مخاوف المسلمين من لبنان الكبير بأنهم يشعرون بالغربة فيه، وبأن وطنهم الحقيقي يمتد إلى أبعد من حدوده. المرجع نفسه، ص 9-10.

(131) باتريك سيل، **رياض الصلح والنضال من أجل الاستقلال العربي**، نقله إلى العربية عمر سعيد الأيوبي، التدقيق اللغوي أحمد الرفاعي (بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، 2010)، ص 359-363؛ الصلح، ص 79.

إميل إده، لكن لم تلقَ تلك المطالبات استجابة على الصعيد المسيحي[132]. وخشية أسلمة لبنان، رفضت سلطة الانتداب وقيادات سياسية وروحية مارونية ترشُّح الشيخ محمد الجسر لرئاسة الجمهورية، على الرغم من انفتاحه على قيادات مسيحية، فتسبب ذلك بصدمة كبيرة للمسلمين، من منطلق أنه يجري تهميشهم. وكان قرار الجسر بالترشح إشارة واضحة إلى تخلّي المسلمين عن مقاطعة لبنان الكبير. لكن سلطة الانتداب عرقلت الاستحقاق بتعليقها العمل بالدستور وحل المجلس النيابي[133].

ب- الميثاق الوطني ومعركة الاستقلال: تعزيز منسوب التعايش الطوائفي... إلى حين!

جرى بين عامَي 1938 و1943، التوافق بين المسيحيين والمسلمين على «ميثاق وطني» شفهي وشراكة حكم، وبالتالي التخفيف من حدة التناقضات بينهم. كما جرى وضع صيغةٍ لتوزيع المناصب والمراكز في الدولة ومؤسساتها على أساس الحجم السكاني لكل طائفة. وكان أهم شيء في التسوية تحييد لبنان عن الصراعات الخارجية [134].

اعتُبر «الميثاق الوطني» أساس «الديمقراطية التوافقية»[135] اللبنانية،

---

(132) سنو، **لبنان الطوائف في دولة ما بعد الطائف**، ص 77-78. كان إميل إده من أبرز المؤيدين للبنان الصغير، وعدم ضم مسلمين إلى لبنان الكبير. كما أنه كان من أنصار أوثق العلاقات بفرنسا.

(133) عبد الله إبراهيم سعيد، **الشيخ محمد الجسر: من مجلس المبعوثان إلى رئاسات لبنان** (بيروت: دار النهار للنشر، 2005).

(134) باسم الجسر في كتابه **ميثاق 1943 لماذا كان؟ وهل سقط؟** (بيروت: دار النهار للنشر، 1978)، حيث يعالج الظروف التي أدت إلى التوافق على الميثاق، وسقوطه في السنة الثانية من اندلاع حرب لبنان (1976).

(135) تهدف «الديمقراطية التوافقية» إلى ترتيب العلاقات في المجتمعات المختلفة أو المتنوعة، من الناحية الدينية أو العرقية أو الإثنية أو الثقافية أو اللغوية، كي لا تتسلط جماعة على أخرى. يُنظر: Theodor Hanf, «Die drei Gesichter des Libanon-Krieges,» *Friedensanalysen: Für Theorie und Praxis*, no. 8 (1978), pp. 64-122.

لكن «ديمقراطيته» كانت هشة، ولم يجرِ تطويرها[136]، بل كانت «مفخخة» بعوامل تدميرها، كالالتباس في شأن هوية لبنان (لبنان ذو وجه عربي يستسيغ الخير والنفع من الغرب)، والتمثيل النسبي الذي لم يتدارك المتغيرات الديموغرافية التي تجعل المسلمين يطالبون بتقاسم جديد للسلطة، في مقابل مقولة زعيم حزب الكتائب اللبنانية الراحل بيار الجميل بسرمدية ما اتُّفق عليه في «الصيغة»، أي أن تكون رئاسة الجمهورية للموارنة ورئاسة المجلس النيابي للشيعة ورئاسة الحكومة للسنّة[137]. كما أن البعد الخارجي للميثاق ارتبط بالتناقضات الطائفية والصراع على السلطة، وسياسات القوى الخارجية ومصالحها في لبنان، فحافظ المسلمون على تطلعهم إلى محيطهم العربي، فيما لم يتوان الموارنة عن إظهار تعلقهم بالغرب، وبفرنسا على نحو خاص. تُضاف إلى ذلك استقلالية كل طائفة في ممارسة سياستها التربوية في مدارسها وجامعاتها، والإشراف على أحوالها الشخصية؛ فأوجد ذلك «تعددية ثقافية» لا ثقافة وطنية. من هنا، بقيت عروبة لبنان، وفق الميثاق الشفهي، ملتبسة، في مقابل تمسك الموارنة بالقومية اللبنانية[138]، على الرغم من تأكيد بعضهم العروبة الثقافية المتحررة من الدين، ورفضهم العروبة الوحدوية التي نادى بها المسلمون والتيارات القومية العربية[139]. أخيرًا، غابت فكرة «الوطن» عن الميثاق، وعند كثير من اللبنانيين، حيث بقي لبنان حيزًا تتعايش فيه طوائف دينية متنوعة ومتناحرة[140].

---

(136) سنو، **لبنان الطوائف في دولة ما بعد الطائف**، ص 23-26.

(137) «الصيغة البديلة: وثائق كتائبية حول لبنان الحضاري»، مجلة **العمل**، العدد 1 (1977). وقامت التسوية أيضًا على توزيع الوظائف والمراكز بين الطوائف بشكلٍ نسبي؛ فيكون التنافس عليها داخل كل طائفة، وليس في ما بينها. يُنظر: سنو، **لبنان الطوائف في دولة ما بعد الطائف**، ص 68.

(138) كمال يوسف الحاج، **الطائفية البناءة أو فلسفة الميثاق الوطني: مبحث فلسفي لاهوتي سياسي حول الطائفية في لبنان على ضوء الميثاق الوطني** (بيروت: مطبعة الرهبانية اللبنانية، 1961)، ص 241-258.

(139) المرجع نفسه، ص 170-175.

(140) عصام سليمان، **الفدرالية والمجتمعات التعددية ولبنان** (بيروت: دار العلم للملايين، 1991)، ص 205.

تحت مظلة «الميثاق الوطني»، خاض اللبنانيون معركة الاستقلال للتخلص من الانتداب الفرنسي، موحدين بشكل رائع أول مرة في تاريخهم. ردًّا على ذلك، اعتقلت سلطة الانتداب زعامات لبنانية، على رأسهم رئيس الجمهورية بشاره الخوري ورئيس الحكومة رياض الصلح. فتسببت الإجراءات الفرنسية باندلاع انتفاضة شعبية، مطالبة بإطلاق سراح المعتقلين. وعندما وجدت باريس نفسها محاصرة، عربيًا ودوليًا، أطلقت المعتقلين، ووافقت على استقلال لبنان[141]. فانضم لبنان إلى جامعة الدول العربية، ورفع الصلح شعاره الشهير «لا شرق ولا غرب»، الذي أرضى المسلمين والمسيحيين... إلى حين. وكان الصلح على قناعة بأن طمأنة المسيحيين يصب في مصلحة الإسلام والعروبة[142].

وبين استقلال لبنان واندلاع حربه الداخلية في عام 1975، جرى الترويج لمقولتي «لبنان المعجزة» و«لبنان سويسرا الشرق» اللتين أخفتا كثيرًا من الاختلالات الاجتماعية، خصوصًا في الأطراف[143]. وقد عكست أزمة «بنك إنترا» بداية، في عام 1966، هشاشة النظام اللبناني الليبرالي الحر[144]. كما أن التوازنات والمصالح الطائفية كانت بالمرصاد لعملية انتقال لبنان إلى أي شكلٍ من أشكال الدولة الحديثة. وقد تأثر لبنان بالحرب الباردة، وبالأيديولوجيا الناصرية، وبالنزاع العربي - الإسرائيلي، ما جعل تسوية «الميثاق الوطني» ظرفية لا تتوافر فيها إمكانات الديمومة[145].

---

(141) الصلح، ص 248-262.

(142) **بيار الجميل**: **مواقف وآراء، 1975-1980** (بيروت: دار العمل للنشر، 1982)، ص 54.

(143) عبد الرؤوف سنو، **حرب لبنان 1975-1990: تفكك الدولة وتصدع المجتمع، المجلد الأول: مفارقات السياسة والنزاعات المسلحة والتسوية** (بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، 2008)، ص 127-129.

(144) تسببت مجازفة «بنك إنترا» برأسماله وأموال المودعين في استثمارات خارجية بفقدانه السيولة المطلوبة، يُنظر: فادي يونس، «المؤامرة التي لم تُسقِط إمبراطورية إنترا»، **الأخبار**، 11/9/2015.

(145) سنو، **حرب لبنان**، ص 96-104.

2 – لبنان من الاستقلال إلى الحرب الداخلية

أ– لبنان بين الأحلاف الإقليمية والناصرية

انعكست على لبنان، منذ خمسينيات القرن الماضي، الحرب الباردة ومشروعات الأحلاف، وتصدير الناصرية ثورتها، فكان هناك انجذاب لبناني علماني نحو الوحدة السورية مثّله الحزب السوري القومي الاجتماعي، في مقابل انجذاب إسلامي نحو الناصرية التي جسدت تصدير ثورتها بالوحدة المصرية – السورية. كما كان هناك انجذاب مسيحي ماروني من نوع آخر نحو الغرب في خلال عهد كميل شمعون (حكم 1952–1958). وفيما بقيت التطلعات نحو الوحدة العربية للقيادات الإسلامية ضمن الطموحات والأماني، ولم تتبلور في صيغة برنامج عملي يؤدي إلى تحقيق هذا الهدف، أصاب حياد لبنان خرق خطِر جسّده تعاطف لبنان الرسمي مع «حلف بغداد»، ثم قبول شمعون «مبدأ أيزنهاور» في عام 1957، واستنجاده في العام التالي بالأميركيين لحماية نظامه من الناصرية، من دون أن يكون لبنان معرضًا بالفعل لخطر الشيوعية.

هكذا، تسببت مجموعة من الخلافات والتناقضات بين المعارضة اللبنانية وشمعون في ما يتعلق بالسياسة الخارجية، وبنتائج الانتخابات النيابية لعام 1957، ورغبة الرئيس شمعون في تمديد ولايته، وانفتاحه غير المسبوق على الأحلاف في المنطقة، في اندلاع حرب قصيرة الأمد في عام 1958، من دون أن يكون لها طابع طائفي حاد، على الرغم من تدخّل سورية (الجمهورية العربية المتحدة) في لبنان عبر الحدود المشتركة لدعم المعارضة اللبنانية في وجه نظام شمعون[146]. واستمرت الثورة الداخلية حتى انتهاء ولاية الرئيس في أيلول/ سبتمبر من العام نفسه.

أعاد قائد الجيش فؤاد شهاب، عقب تولّيه سدة رئاسة الجمهورية في عام 1958، بتوافق مصري – أميركي، التوازن إلى سياسة لبنان الخارجية، وراكم

(146) عباس أبو صالح، **الأزمة اللبنانية عام 1958 في ضوء وثائق يُكشف عنها للمرة الأولى** (بيروت: المنشورات العربية، 1988).

حكمُه إنجازات ضخمة في الإدارة وقطاع الخدمات والتعليم، وفي الأطراف تحديدًا، ونجح بالتالي في امتصاص كثير من الشكوى الإسلامية من الغبن والحرمان، حتى أن هناك من اعتبر عهده مقدمة لقيام الدولة المدنية في لبنان، بعيدًا عن الدين[147]، لكن الطائفية المجتمعية والطائفية - السياسية كانتا عائقًا حال دون قيام الدولة المدنية المنشودة.

ب- اتفاق القاهرة في عام 1969 وتداعياته

مع انطلاق المقاومة الفلسطينية المسلحة من لبنان بعد منتصف الستينيات، استعر التنافس بين التيارات السياسية والأيديولوجية حول دور لبنان في الصراع العربي - الإسرائيلي. فانحاز المسلمون والقوميون العرب إلى المقاومة، مدعومين من اليسار اللبناني، بحساباته الهادفة إلى علمنة النظام اللبناني، فخشي الموارنة على إنجازاتهم، من مخططات لضرب النظام اللبناني، وزج لبنان في الصراع العربي - الإسرائيلي، وتدخُّل المقاومة الفلسطينية في التوازنات الداخلية لمصلحة المسلمين واليسار.

اعتبرت أغلبية المسلمين، ولحسابات داخلية، أن المقاومة الفلسطينية جيشها للقضاء على امتيازات الموارنة، وطالبت الحكومةَ اللبنانية بأن تسمح بحرية المقاومة المسلحة ضد إسرائيل انطلاقًا من الجنوب اللبناني[148]، في حين كان الموارنة يعتبرون الجيش اللبناني جيشهم للدفاع عنهم وعن لبنان[149]. لذا، شهدت مرحلة ما قبل عام 1975 وما بعده، تصدي الموارنة، ومعهم الجيش اللبناني، للمقاومة الفلسطينية، وتحالفهم مع سورية تارة (الدخول السوري إلى لبنان في صيف عام 1976 بطلب رسمي من رئيس الجمهورية

---

(147) ندى أمين الحسن، «تجربة فؤاد شهاب في بناء الدولة المدنية في لبنان بين عامي 1958 و1964»، رسالة دبلوم الدراسات العليا في التاريخ، الجامعة اللبنانية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ، 2009.

(148) سنو، **حرب لبنان**، ص 101؛ محسن دلول، **حوارات ساخنة، من كمال جنبلاط إلى رفيق الحريري** (بيروت: رياض الريس للكتب والنشر، 2007)، ص 193-196.

(149) «حلقة عن بيار الجميل»، تلفزيون أل بي سي، 25 حزيران/ يونيو 2007.

سليمان فرنجية)، وتارة أخرى مع إسرائيل[150]، وذلك من أجل تصحيحِ الخلل في التوازن بين الطوائف الذي سبّبه الوجود الفلسطيني المسلح، وتشكيله بالتالي خطرًا على وجودها، كما على التعايش الطوائفي.

في ظل الأوضاع المعقدة تلك، جرى في تشرين الثاني/نوفمبر 1969 توقيع «اتفاق القاهرة» بين ياسر عرفات وقائد الجيش اللبناني إميل بستاني، بعدما تلكأ رئيس الحكومة رشيد كرامي عن الالتحاق بالوفد اللبناني المسافر إلى القاهرة. وأدى التنافس داخل المعسكر الماروني حول رئاسة الجمهورية إلى قبول لبنان الاتفاق، وموافقة بيار الجميل عليه، لكن على مضض[151]. كان الاتفاق وبالًا على سيادة الدولة ومجتمعها بكل المعايير؛ فما من دولةٍ تسلّم سيادتها إلى قوة خارجية بالشكلِ الذي حصل فيه، حتى ولو كان من منظور قومي عربي، وتمنع، في الوقت نفسه، جيشها من التصدي للمتطاولين على أمنها (قضية إنزال الجيش لضبط المقاومة الفلسطينية). وكان ريمون إده الزعيم اللبناني الوحيد الذي انتقد الاتفاق، وطالب بتحييد لبنان، ووضع قوات دولية على حدوده مع إسرائيل[152].

3 – من حرب لبنان ونعي الميثاق... إلى اتفاق الطائف في عام 1989

ليس صحيحًا، في رأينا، أن اندلاع حرب لبنان في عام 1975 كان بسبب الشكوى الإسلامية الدائمة من الغُبن والحرمان الموجودين في الأطراف الإسلامية، أو استئثار المسيحيين بالسلطة والمناصب؛ فالطبقة السياسية الحاكمة كانت تجمعها، مطلع الحرب وخلالها، مصالح مشتركة فوق الطائفية، ولا تريد التفريط فيها في نزاع داخلي. ويعود اندلاع الحرب الداخلية إلى

---

(150) جوزيف أبو خليل، **قصة الموارنة في الحرب: سيرة ذاتية**، ط 2 (بيروت: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، 1990)، حيث يروي فيه طليعة الاتصالات المارونية بدولة إسرائيل.

(151) نقلًا عن: كريم بقرادوني، **لعنة وطن: من حرب لبنان إلى حرب الخليج** (بيروت: عبر الشرق للمنشورات، 1991)، ص 127.

(152) نبيل خليفة، **الاستراتيجيات السورية والإسرائيلية والأوروبية حيال لبنان: بحث في مصير الدولة-الحاجز** (جبيل، لبنان: مركز بيبلوس للدراسات والأبحاث، 1993)، ص 137.

انجذاب المسلمين بشغف إلى عروبتهم، ورهانهم على المقاومة الفلسطينية بديلًا من الأنظمة العربية التي لحقت بها الهزائم أمام إسرائيل، وبالتالي سعيهم إلى أن ينتزعوا بواسطتها ما يمكن انتزاعه من امتيازات المسيحيين، وهذا ما أثار خوف الموارنة من أن يؤدي تورط لبنان في النزاع العربي - الإسرائيلي إلى تلاشي دوره الخدماتي - الثقافي المميز في الشرق الأوسط، وبالتالي إلى تضعضع مركزهم. أمّا المقاومة الفلسطينية، فكان يهمها، بعد «درس» الأردن في عام 1970[153]، ألّا تقوم دولة قوية في لبنان، وأن تهيمن عليه، فتلاعبت بالتناقضات الطائفية[154].

أ- حرب داخلية وتدخلات خارجية - الاجتياح الإسرائيلي في عام 1982

منذ اندلاع حرب لبنان، تعسكرت الطوائف اللبنانية، فكان الموارنة أمام خيارين: إمّا الدفاع عن إنجازاتهم التاريخية وإمّا الانفصال عن لبنان الكبير، ضمن كانتون طائفي قريب الشبه من «لبنان الصغير». وفي كلا الخيارين، كان معنى ذلك دخول لبنان في حرب طائفية. لكن رئيس الجمهورية المنتخَب بشير الجميل وخَلَفه أمين الجميل و«الجبهة اللبنانية» عادوا وراهنوا على لبنان الكبير بدعم من سورية أولًا، ثم بدعم من إسرائيل بالنسبة إلى بشير والجبهة المذكورة. فتمكنت دمشق، بتدخّلها العسكري في لبنان من منع انهيار المسيحيين أمام الحلف الإسلامي - اليساري - الفلسطيني. وفي عام 1982، أعادت تل أبيب خلط الأوراق باجتياحها لبنان، وطرد المقاومة الفلسطينية من بيروت إلى تونس وسورية، وتثبيت الموارنة في دفة الحكم. واستغلت اغتيال بشير الجميل كي تجتاح بيروت في صيف العام المذكور، فكانت هذه المرة الأولى التي تسقط فيها عاصمة عربية في يد العدو الصهيوني.

---

(153) هي الأوضاع التي أدت إلى الصدام بين الأردن وفصائل منظمة التحرير الفلسطينية في خلال عامَي 1970 و1971، وبالتالي طرد آلاف الفدائيين والمدنيين الفلسطينيين من البلاد إلى لبنان عبر سورية. بشأن هذا الموضوع، يُنظر: يزيد يوسف صايغ، **الأردن والفلسطينيون**، قضايا راهنة (لندن: رياض الريس للكتب والنشر، 1987).

(154) دلول، **حوارات ساخنة**، ص 78.

في خلال حرب لبنان، أقامت الميليشيات اقتصادها الموازي، وسيطرت على المرافئ والمرافق والموارد والمؤسسات والإدارات، كل واحدة في حيزها الجغرافي - الطائفي، فيما تأثرت القطاعات الإنتاجية والخدماتية سلبًا، وانهارت الأوضاع الاجتماعية، وفقدت العملة الوطنية من قيمتها بشكلٍ مخيف. ومن تداعيات الحرب، انقسام الجيش اللبناني والإعلام والإدارات والجامعة اللبنانية على نفسها، وحدوث لامركزية اقتصادية، وتهجير طائفي وهجرة دافقة نحو الخارج، وانهيار التعليم والثقافة. كما قامت الميليشيات بترهيب المواطنين بوسائل مختلفة لتأمين إمساكها بحيزها المناطقي الطائفي وسلبه قراره.

وكان الأخطر من ذلك، سياسيًا، فشل المبادرات السورية والعربية والدولية لحل الأزمة اللبنانية، وإفشال «الجبهة اللبنانية» وبكركي التوافق الأميركي - السوري على الاستحقاق الرئاسي في عام 1988 للإتيان بمخايل الضاهر رئيسًا للجمهورية. وتلى ذلك انقسامُ الحكومة اللبنانية إلى حكومتين وجيشين متنافسين عقب انتهاء ولاية الرئيس أمين الجميل في أيلول/ سبتمبر 1988، وتعذَّر انتخاب خلفٍ له، فحكم قائد الجيش ميشال عون المناطق المسيحية من قصر بعبدا كرئيس لحكومة انتقالية، بعدما فرض تعيينه على الجميل، ما أدى إلى صدام بينه وبين القوات اللبنانية في معارك طاحنة في سبيل حيازة أحادية القرار السياسي والعائدات المالية، فكان هذا التقاتل وبالًا على المجتمع المسيحي. ومن عائشة بكار، حكم الرئيس سليم الحص وفق إملاءات سورية[155].

ب- اتفاق الطائف 1989 ... نهاية الحرب؟!

قبل التوصل إلى اتفاق الطائف في عام 1989، جرت محاولات فاشلة لإنهاء حرب لبنان، منها الورقة الدستورية التي رعتها سورية في عام 1976، واتفاق 17 أيار/ مايو 1983 بين لبنان وإسرائيل، والاتفاق الثلاثي (في أواخر عام 1985) الذي «صُنع في دمشق» بين ميليشيات مارونية وشيعية ودرزية لجعل لبنان، تعاهديًا، أكثر خضوعًا لها، وتقليص امتيازات المسيحيين. ومنذ

(155) بشأن حرب لبنان، يُراجع: سنو، **حرب لبنان**، ج 1-2.

خروج المقاومة الفلسطينية من بيروت في عام 1982، ومن طرابلس في العام التالي، تحول الصراع العسكري لبنانيًا - لبنانيًا، حتى بين ميليشيات الصف الواحد. وتفاقمت الأوضاع في خلال المرحلة التي حكم فيها العماد ميشال عون من قصر بعبدا، بعدما رفضت دمشق وواشنطن الموافقة على انتخابه رئيسًا للبلاد. من هنا، تضافرت جهود جامعة الدول العربية والمجتمع الدولي لوضع حد للعنف في لبنان، فكان اتفاق الطائف[156].

بعد مرور 15 عامًا من اندلاع حرب لبنان، وسبعة عقود من ولادة لبنان الكبير، وُضعت تسوية اتفاق الطائف بجهد عربي ودولي، لضخ الحياة في جسد لبنان المُنهَك، بعدما تضعضع مجتمعه، وفقد، كدولة، معظم مقوماته المؤسساتية والاقتصادية والخدماتية وتماسكه السياسي، وحتى دوره الشرق الأوسطي الفريد. وكان أن قدّم الاتفاق للبنان فرصة استعادة السلم الأهلي، وإعادة البناء والإعمار بمساعدات وقروض خارجية، وتفعيل مؤسساته واقتصاده، وفتح المناطق بعضها على بعض. كما أنه أرسى قواعد دستورية جديدة لتقاسم السلطة، أهمها أن تُناط السلطة الإجرائية بمجلس الوزراء مجتمعًا، ومناصفة التوزيع في مجلسي النواب والوزراء وفي وظائف الفئة الأولى بين المسلمين والمسيحيين، بغض النظر عن الحجم الديموغرافي لكل طائفة. كما قُلصت صلاحيات رئيس الجمهورية، فيما حصل كلٌّ من رئيس مجلس الوزراء ورئيس مجلس النواب على صلاحيات إضافية. ونص الاتفاق على تشكيل لجنة للنظر في كيفية إلغاء الطائفية السياسية، إلا أنها لم تبصر النور. أمّا توزيع الرئاسات الثلاث بين الطوائف، فبقي على حاله. وفي شأن هوية لبنان، حسم الاتفاق النزاع التاريخي حولها بأن «لبنان عربي الهوية والانتماء».

مع ذلك، لم يضع الاتفاق البلاد على سكة سلم أهلي مستتب، بسبب وضعه تحت الوصاية السورية؛ إذ عمل النظام السوري، في ظل هيمنته على

---

(156) بشأن اتفاق الطائف، نقاشات وحوارات ومبادرات وعقبات وتعديلات وتسويات ونتائج، يُراجع الفصل السابع من: المرجع نفسه، ج 1، ص 741-801.

القرار وعلى الأرض، على تغذية التناقضات الطائفية للإمساك بلبنان بقوة[157]. وحاز رؤساء الميليشيات وأعوانهم المقربون من سورية مناصب رفيعة في دولة ما بعد الطائف، وانتشرت الثقافة الميليشياوية القائمة على الصفقات المشبوهة، ونهب المال العام، وملء وزارات الدولة ومؤسساتها بالمحازبين والأتباع، فكان ذلك وبالًا على لبنان.

المراجع

1 - العربية

أبو خليل، جوزيف. **قصة الموارنة في الحرب: سيرة ذاتية.** ط 2. بيروت: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، 1990.

أبو صالح، عباس. **الأزمة اللبنانية عام 1958 في ضوء وثائق يُكشف عنها للمرة الأولى**. بيروت: المنشورات العربية، 1988.

أبي ياغي، جان دارك. «مكتشفات بيروت تروي تاريخها: متحف كاتدرائية القديس جاورجيوس. تحت الكنيسة ست متكئات الواحدة إلى الأخرى». مجلة **الجيش** (اللبناني). العدد 310 (نيسان/ أبريل 2011).

أبي يونس، ألكسندر. «صخور نهر الكلب متحفًا». مجلة **الجيش** (اللبناني). العدد 356 (شباط/ فبراير 2015).

ألوف، ميخائيل موسى. **تاريخ بعلبك**. طبعة عربية ثانية. بيروت: المطبعة الأدبية، 1904.

أنطونيوس، جورج. **يقظة العرب: تاريخ حركة العرب القومية**. ترجمة ناصر الدين الأسد وإحسان عباس. ط 3. بيروت: دار العلم للملايين، 1969.

بقرادوني، كريم. **لعنة وطن: من حرب لبنان إلى حرب الخليج**. بيروت: عبر الشرق للمنشورات، 1991.

(157) يُراجع الفصل الثاني من: سنو، **لبنان الطوائف في دولة ما بعد الطائف.**

بكاسيني، جورج. **الطريق إلى الاستقلال: خمس سنوات مع رفيق الحريري**. ط 2. بيروت: [المؤلف]، 2008.

بيار الجميل: مواقف وآراء، 1975–1980. بيروت: دار العمل للنشر، 1982.

بيهم، محمد جميل. **لبنان بين مشرق ومغرب، 1920–1969**. [بيروت: المؤلف، 1969].

تدمري، عمر عبد السلام. «مدينة صور في كتابات المؤرخين والرحالة. من الفتح الإسلامي حتى التحرير من الصليبيين»، في: **وثائق المؤتمر الأول لتاريخ مدينة صور: من العهد الفينيقي حتى القرن العشرين، 15–16 حزيران 1996** (صور، لبنان: منتدى صور الثقافي، 1996).

الجسر، باسم. **ميثاق 1943 لماذا كان؟ وهل سقط؟**. بيروت: دار النهار للنشر، 1978.

جلبوط، زياد. «حصار الإسكندر الأكبر لمدينة صور واحتلالها في العام 332ق.م.». مجلة **الدفاع الوطني اللبناني**. العدد 105 (تموز/يوليو 2018).

الحاج، كمال يوسف. **الطائفية البناءة أو فلسفة الميثاق الوطني: مبحث فلسفي لاهوتي سياسي حول الطائفية في لبنان على ضوء الميثاق الوطني**. بيروت: مطبعة الرهبانية اللبنانية، 1961.

حتي، فيليب. **خمسة آلاف سنة من تاريخ الشرق الأدنى**. ج 1. بيروت: الدار المتحدة للنشر، 1975.

الحسن، ندى أمين. «تجربة فؤاد شهاب في بناء الدولة المدنية في لبنان بين عامي 1958 و1964». رسالة دبلوم الدراسات العليا في التاريخ. الجامعة اللبنانية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية. قسم التاريخ. 2009.

حطيط، أحمد. **سكان لبنان في زمن الحروب الصليبية (1097–1290م)**. بيروت: دار المحجة البيضاء، 2010.

______. **الشيخ تقي الدين ابن تيمية: دراسة في فكره واجتهاداته**. لندن: مؤسسة التراث الدرزي، 2009.

______. **قضايا في تاريخ المماليك السياسي والحضاري (648-923هـ/ 1250-1517م)**. بيروت: الفرات للنشر والتوزيع، 2003.

الحكيم، أنطوان. **من متصرفية الجبل إلى دولة لبنان الكبير، 1914-1920**. بيروت: الفرات للنشر التوزيع، 2018.

حوراني، ألبرت. **الفكر العربي في عصر النهضة، 1798-1939**. ترجمة كريم عزقول. بيروت: دار النهار للنشر، 1968.

حوراني، يوسف. «إعلام عالميون من صور في العهد الروماني»، في: **وثائق المؤتمر الأول لتاريخ مدينة صور: من العهد الفينيقي حتى القرن العشرين، 15-16 حزيران 1996** (صور، لبنان: منتدى صور الثقافي، 1996)، ص 47-60.

خالدي، مصطفى وعمر فروخ. **التبشير والاستعمار في البلاد العربية: عرض لجهود المبشرين التي ترمي إلى إخضاع الشرق للإستعمار الغربي**. ط 5. صيدا/ بيروت: المكتبة العصرية، 1973.

خليف، بشار. **مملكة ماري وفق أحدث الكشوفات الأثرية**. [د. م.]: دار الرائي للنشر والتوزيع، 2005.

خليفة، عصام كمال. **من الميثاق الوطني اللبناني إلى الجلاء، 1938-1946**. بيروت: [المؤلف]، 1998.

خليفة، نبيل. **الاستراتيجيات السورية والإسرائيلية والأوروبية حيال لبنان: بحث في مصير الدولة - الحاجز**. جبيل، لبنان: مركز بيبلوس للدراسات والأبحاث، 1993.

الخوري، مارون عيسى. **ملامح من الحركات الثقافية في طرابلس خلال القرن التاسع عشر**. طرابلس، لبنان: جروس برس، 1983.

دلول، محسن. **حوارات ساخنة، من كمال جنبلاط إلى رفيق الحريري**. بيروت: رياض الريس للكتب والنشر، 2007.

______. **رفيق الحريري رجال في رجل: محطات في عقدين من الصداقة**. حوار وتحرير يوسف مرتضى. بيروت: دار نجيب الريس، 2007.

ديب، كمال. **أمراء الحرب وتجار الهيكل: خبايا رجال السلطة والمال في لبنان**. مقدمة جورج قرم. بيروت: دار الفارابي، 2015.

رافق، عبد الكريم. **العرب والعثمانيون، 1516–1916**. دمشق: مطابع ألف باء – الأديب، 1974.

رباط، إدمون. **التكوين التاريخي للبنان السياسي والدستوري**. ترجمة حسن قبيسي. أعده للنشر جورج كتورة. منشورات الجامعة اللبنانية، قسم الدراسات القانونية، السياسية والإدارية 17. بيروت: منشورات الجامعة اللبنانية، 2002.

زيسر، إيال. **أعرف كيف يفكر الإسرائيليون باسم الأب بشار الأسد: السنوات الأولى في الحكم**. سلسلة الكتب الجديدة. القاهرة: مكتبة مدبولي، 2005.

زين، زين نور الدين. **الصراع الدولي في الشرق الأوسط وولادة دولتي سوريا ولبنان**. بيروت: دار النهار للنشر، 1971.

الزين، سميح وجيه. **تاريخ طرابلس قديمًا وحديثًا منذ أقدم الأزمنة حتى عصرنا الحاضر**. بيروت: دار الأندلس، 1969.

ستراوخ، يوهانس. **بيريت: أقدم كتاب مطبوع عن حاضرة بيروت 1662**. مع مقدمة من هنري زغيب. بيروت: مركز التراث اللبناني، 2019.

سعيد، عبد الله إبراهيم. **الشيخ محمد الجسر: من مجلس المبعوثان إلى رئاسات لبنان**. بيروت: دار النهار للنشر، 2005.

سليمان، عصام. **الفدرالية والمجتمعات التعددية ولبنان**. بيروت: دار العلم للملايين، 1991.

سنو، عبد الرؤوف. «ألمانيا والمجاعة في لبنان خلال الحرب العالمية الأولى: سياسة ومسؤولية إنسانية». **مجلة الدراسات الأمنية والقانونية والعلمية والاجتماعية والإنسانية**. العدد 80 (2019).

______. «الحرب الإسرائيلية-اللبنانية 2006: الخلفيات والمواقف والأبعاد». مجلة **حوار العرب** (بيروت). المجلد 2، العدد 22 (أيلول/ سبتمبر 2006)، ص 30-44.

______. **حرب لبنان 1975-1990: تفكك الدولة وتصدع المجتمع، المجلد الأول: مفارقات السياسة والنزاعات المسلحة والتسوية**. بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، 2008.

______. «دولة لبنان الكبير، 1920-2018: مقاربة قويمية». **مجلة الدراسات الأمنية والقانونية والعلمية والاجتماعية والنفسية**. العدد 81 (كانون الثاني/ يناير 2020)، ص 24-53.

______. **السعودية ولبنان - السياسة والاقتصاد، 1943-2011، المجلد الثاني: العلاقات السياسية**. بيروت: الفرات للنشر والتوزيع، 2016.

______. «صدى الدستور العثماني في صحافة بيروت عام 1908»، في: **الأمة والدولة والتاريخ والمصائر: دراسات مهداة إلى الأستاذ رضوان السيد بمناسبة بلوغه الستين** (بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، 2011)، ص 343-364.

______. **لبنان الطوائف في دولة ما بعد الطائف: إشكاليات التعايش والسيادة وأدوار الخارج**. نصوص ودراسات بيروتية 135. بيروت: المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، 2014.

______. **المدن الأقطاب في لبنان: بيروت - طرابلس - زحلة - صيدا**. طرابلس، لبنان: منشورات مؤسسة شاعر الفيحاء سابا زريق الثقافية؛ دار البلاد للطباعة والإعلام في الشمال، 2018.

سيل، باتريك. **رياض الصلح والنضال من أجل الاستقلال العربي**. نقله إلى العربية عمر سعيد الأيوبي. التدقيق اللغوي أحمد الرفاعي. بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، 2010.

شبارو، عصام محمد. **المطول في تاريخ بيروت، 2000 ق.م. - 2005م.، ج 1: بيروت الكنعانية-الفينيقية، 2000 ق.م. - 635م**. بيروت: دار النهضة العربية، 2018.

شعبان، حنان قرقوتي. **بيروت ودورها الجهادي منذ الفتح الإسلامي حتى نهاية العهد العثماني**. بيروت: دار الكتب العلمية، 2003.

صادر، إيلان. «صور في العصرين البرونزي والحديدي: تاريخ وآثار المدينة من الألف الثالث إلى أواخر الألف الأول ق.م.»، في: **وثائق المؤتمر الأول لتاريخ مدينة صور: من العهد الفينيقي حتى القرن العشرين، 15-16 حزيران 1996** (صور، لبنان: منتدى صور الثقافي، 1996)، ص 33-45.

صايغ، يزيد يوسف. **الأردن والفلسطينيون**. قضايا راهنة. لندن: رياض الريس للكتب والنشر، 1987.

الصلح، رغيد. **لبنان والعروبة: الهوية الوطنية وتكوين الدولة**. بيروت: دار الساقي، 2006.

الصليبي، كمال. **بيت بمنازل كثيرة: الكيان اللبناني بين التصور والواقع**. ترجمة عفيف الرزاز. ط 2. بيروت: دار نوفل، 1991.

______. **تاريخ لبنان الحديث**. ط 2. بيروت: دار النهار للنشر، 1972.

______. **منطلق تاريخ لبنان، 634-1516م**. نيويورك: منشورات كارافان، 1979.

«الصيغة البديلة: وثائق كتائبية حول لبنان الحضاري». مجلة **العمل**. العدد 1 (1977)، ص 32-33.

ضوْ، بطرس. **تاريخ الموارنة الديني والسياسي والحضاري**. ط 2. بيروت: دار النهار للنشر، 1977.

ج 1: **من مار مارون إلى مار يوحنا مارون 325–700م**.

ج 3: **الوجه العسكري الماروني من 636 إلى 1367م أو عهد المردة والاستقلال الماروني التام**.

عمران، محمود سعيد. **معالم تاريخ أوروبا في العصور الوسطى**. بيروت: دار المعرفة الجامعية، 1982.

قاسمية، خيرية. **الحكومة العربية في دمشق بين 1918–1920**. القاهرة: دار المعارف، [د. ت.].

القبرصلي، محمد. «تاريخ الحفريات في مدينة صيدا: إشكالية التطور المديني وتداعياته (3000ق.م. – حتى القرن الخامس)». أطروحة دكتوراه. الجامعة اللبنانية. معهد العالي للدكتوراه في الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية. 2016–2017.

القسيس، أنطوان. «تاريخ لبنان القديم بين الجغرافيا والتاريخ»، في: **تاريخ لبنان عبر العصور: مسائل واكتشافات**، سلسلة محاضرات 2013، سلسلة «الذاكرة اللبنانية» 18 (بيروت: الجامعة الأميركية للعلوم والتكنولوجيا، 2013).

______. **ملامح من الفكر الديني الكنعاني الفينيقي**. فينيقيات 1، سلسلة «الذاكرة اللبنانية» 17. بيروت: الجامعة الأميركية للعلوم والتكنولوجيا، 2013.

الكواكبي، عبد الرحمن. **الأعمال الكاملة للكواكبي**. سلسلة التراث القومي. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1995.

الكيلاني، شمس الدين. **تحولات في مواقف النُخب السورية من لبنان (1920–2011)**. الدوحة/بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2012.

مفرَج، طوني. **موسوعة قرى ومدن لبنان**. ج 8. [د. م.]: دار نوبليس، [د. ت.]. في: https://bit.ly/2P1gR8R

مكي، محمد علي. **لبنان من الفتح العربي إلى الفتح العثماني، 635-1516**. بيروت: دار النهار للنشر، 1977.

الملاح، عبد الله. **الهجرة من متصرفية جبل لبنان، 1861-1918**. [بيروت: المؤلف]، 2007.

وثائق المؤتمر العربي الأول 1913: كتاب المؤتمر والمراسلات الدبلوماسية الفرنسية المتعلقة به، الدولة العثمانية وظروف نشأة الحركة العربية. تقديم ودراسة وجيه كوثراني. بيروت: دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، 1980.

2 - الأجنبية

Azoury, Nagib. *Le Réveil de la nation arabe dans l'Asie turque en présence des intérêts et des rivalités des puissances étrangères, de la curie romaine et du patriarcat oecuménique, partie asiatique de la question d'Orient et programme de la Ligue de la patrie arabe*. Paris: Plon-Nourrit et Cie, 1905.

Dawn, C. Ernest. *From Ottomanism to Arabism; Essays on the Origins of Arab Nationalism*. Urbana: University of Illinois Press, 1973.

Hanf, Theodor. «Die drei Gesichter des Libanon-Krieges.» *Friedensanalysen: Für Theorie und Praxis*. no. 8 (1978), p. 64-122.

Jidejian, Nina. *Beirut Through the Ages*. Beirut, Dar el-Machreq Publishers, 1997.

_______. *Byblos Through the Ages*. Maurice Dunand (foreword). Beirut: Dar el-Machreq Publishers, 1968.

_______. *Sidon through the Ages*. Beirut: Aleph, 2006.

Kilani, Marwan. *Byblos in the Late Bronze Age: Interactions between the Levantine and Egyptian Worlds*. Studies in the Archaeology and History of the Levant 9. Leiden; Boston: Brill, 2020.

Lehmann, Reinhard G. *Die Inschrift(en) des Aḥīrōm-Sarkophags und die Schachtinschrift des Grabes V in Jbeil (Byblos)*. Dynastensarkophage mit szenischen Reliefs aus Byblos und Zypern 1.2, Forschungen zur phönizisch-punischen und zyprischen Plastik 2. Mainz am Rhein: von Zabern 2005.

Saab, Hassan. *The Arab Federalists of the Ottoman Empire*. Amsterdam: Djambatan, 1958.

Sader, Hélène, Thomas Scheffler & Angelika Neuwirth (eds.). *Baalbek: Image and Monument, 1898-1998*. Beiruter Texte und Studien 69. Wiesbaden: F. Steiner, 1998.

Sinno, Abdel-Raouf. «The Emperor's Visit to the East as Reflected in Contemporary Arabic Journalism,» in: Hélène Sader, Thomas Scheffler & Angelika Neuwirth (eds.), *Baalbek: Image and Monument, 1898-1998*, Beiruter Texte und Studien 69 (Wiesbaden: F. Steiner, 1998), pp. 115-133.

Walbank, Frank W. *The Hellenistic World*. Cambridge, MA: Harvard University Press, 1993.

Wiesenhöfer, Josef. «Fourth Century Revolts against Persia: The Test Case of Sidon (348-345 bce),» in: Timothy Howe & Lee L. Brice (eds.), *Brill's Companion to Insurgency and Terrorism in the Ancient Mediterranean*, Brill's Companions in Classical Studies: Warfare in the Ancient Mediterranean World 1 (Leiden; Boston: Brill, 2016).